تحفة اللبيب بنصرة الحبيب

علي الجُفري

﴿في ذكر بعض أدلة التوسّل والتبرّك وغيرهما من المسائل الصوفيّة﴾

بقلم
الدكتور جبريل بن فؤاد حداد الصالحي

قرّظ له فضيلة الشيخ
السيد يوسف بن السيد هاشم الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى روح مسنِد الحجاز، شيخ الإسلام في البلد الحرام،

مؤلِّف كتاب (مفاهيم يجب أن تصحَّح)،

مجاهد الرسول ﷺ،

أستاذنا الدكتور محمد بن علوي المالكي الحسني

رحمه الله

المحتويات

تقريظ العالم العامل السيد يوسف بن السيد هاشم الرفاعي ٥
أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٦
الحبيب علي الجفري صاحب حديث صادق أمين في نقله ١٢
الحبيب علي الجفري لا يصحح إلا ما صححه المحققون ١٩
الإجماع على جواز رواية الحديث الضعيف والعمل به ٢٢
إيراد ما قد يكون لا أصل له لا يلزم منه نفي الفوائد بالكلّية ٢٧
تحريم الكذب على رسول الله ﷺ ذو حدّين ٢٩
قد طعن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون في بني أميّة ٣٣
احترام الحبيب الجفري للصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين ٣٨
بناء المساجد على القبور فعله السلف الصالح وزيارتها مشروعة ٤٨
عمارة القبور جائزة لخواصّ الأولياء والعلماء وأهل البيت ٥٠
شدّ الرّحال لزيارة القبور للدعاء والتوسّل سنّة عند السلف والخلف ٥١
زيارة قبر الرسول ﷺ من القُربات إجماعاً وأول من خرَقه ابن تيمية ٥٣
شرح (لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً) وتخريج (مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي) ٥٦
لحديث (اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) شرحٌ سنّي وشرحٌ بِدْعِيٌّ ٥٨
لمس القبر وتقبيله محبةً وتبركاً به يجوز عند الإمام أحمد بل يستحب ٦١
كرامات الأولياء حق ومنهم سيدنا علي كرم الله وجهه ٦٦
حياة الأنبياء في قبورهم واطلاعه ﷺ على أحوالنا قطعي الثبوت ٦٩
شرح اعتقاد حياة النبي ﷺ في البرزخ للمالكي ٧٥
تخريج ودرجة حديث عرض الأعمال ٨١
قصْدُنا نبيَّ الرحمة ﷺ لقضاء الحوائج ٨٤
قصدنا قبورَ الأولياء لقضاء الحوائج رضي الله عنهم ٨٧

فائدة عظيمة يستحب فعلها عند قبور الأنبياء والأولياء ٩٠
مشاهدة جناب الحق لأوليائه أمر جائز شرعاً وعقلاً ومتواتر ٩٢
علم الغيب ثابت للأنبياء وورثتهم ولم يقل أحد إن الولي يشرّع! ٩٦
إماما الدعوة الوهابية يُثبتان علم الغيب للأولياء ١٠٢
ابن القيم يُثبت «العلم اللدنّي الحقيقي» لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٠٥
قول الولي الصالح الشيخ علوي بن عباس رحمهما الله ١٠٧
الإنسان خليفة الله في الأرض ١٠٩

تقريظ

قال العالم المربّي السيد يوسف بن السيد هاشم الرفاعي نسباً ومشرباً حفظه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم. نحمده تعالى ونصلي ونسلِّم على رسوله الكريم وآله وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة المباركة المسماة (تحفة اللبيب بمِنَح الحبيب) للأستاذ الشيخ جبريل بن فؤاد حداد النقشبندي الحقاني؛ فسرّني ما قرأت فيها ووجدته من صميم عقائد أهل السنة والجماعة الَّذين هم السواد الأعظم في الأمّة المحمّدية المرحومة. ووجدتها مدعمة ومعززة بالأحاديث النبويّة الشريفة المخرَّجة من مصادرها المعتمَدة في كتب الحديث الشريف. لذلك أشكر للمؤلف جهده الطيّب في تأليفها وأسأل الله تعالى أن يثيبه ويؤجره ويجزيه على ذلك خير الجزاء. وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلّم.

وكتبه بيده الفانية السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي الحسيني عفى الله تعالى عنه.

دمشق في ٢ رجب ١٤٢٥ الموافق ١٧/ ٨ / ٢٠٠٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد، فإن الله تعالى قال في التنزيل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ الأنفال.

وعن عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ المائدة. قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَى!** وَأَوْمَىءَ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ إِلَىَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ. رواه ابن سعد وابن أبي شيبة والطبراني وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. والحاكم بهذا اللفظ وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي.

وجاء في الحديث الصحيح عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ قِبَلَ العِرَاقِ وَالشَّامِ وَالْيَمَنِ فَقَالَ: **اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ عَلَى طَاعَتِكَ وَحُطَّ مِنْ وَرَاءِهِمْ.** رواه الطبراني في معاجمه

الثلاثة وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير علي بن بحر وهو ثقة. وأورده الحافظان الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة والسمعاني في التحبير وفضائل الشام.

وقال ﷺ: **خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ، وَأَنَا يَمَانٍ**. رواه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ **يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا لِلإِسْلاَمِ مِنْكُمْ**. قَالَ: فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ، فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ. فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ يَقُولُونَ:

غَـداً نَلْقَـى الأَحِبَّـهْ مُحَمَّـداً وَحِزْبَـهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فَكَانُوا هُمْ أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمُصَافَحَةَ. رواه أحمد.

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال النبي ﷺ في أهل اليمن: **هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**.

لقد أُتْحِفت دمشق المحروسة بِنَفَس الرحمن الذي وجده رسول الله ﷺ من قبل اليمن، بزيارة الشيخ الداعية الحبيب علي زين العابدين ابن عبد الرحمن الجفري حفظه الله في شهر ربيع الأنور ١٤٢٥ الموافق مايو ٢٠٠٤، ونال فيها قبولاً عظيماً من المسلمين عامتهم وعلمائهم، وأجمعوا على محبته وإقرار علو شأنه. ولا شك أن سبب هذا القبول في الأرض كان حصول القبول له أولاً في السماء. حتى إن شيخ قراء الشام مدحه مدحاً لم يسبقه فيه أحد فأثنى على بلاغة الجفري بمثل ما قال الإمام ابن عبد السلام في كلام ابن عطاء الله: (إنه كلام حديث العهد بربّه) أي شبّهه بالوحي الإلهي لصفائه. ونعم المدحُ الحق لقول الرسول ﷺ ((**الإِيمانُ يَمانٍ وَالحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ**)) متفق عليه.

ومع ذلك فقد حصلت بعض الاعتراضات الخاطئة على هذا الشيخ الجليل من قبل بعض الجهات. ففوجئنا بكلام من بعض علماء الشام لا ندري كيف سمح لنفسه أن يقوله من غير تحقيق أو وقوف على الحقيقة، سوى تصديق ناقل له فتّان أراد زرع الفتنة والتضليل، والباعث لهذا الشخص الذي جاء إليه: الحسد. لذا قال الله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات.

والجدل بأقدار الرجال وحال الوشاة معلوم ومذموم عند الخاص والعام. وسر نجاحهم – المؤقت – هوسيران أخطر داء عضال يفتك في كيان هذه الأمة على حد تعبير الدكتور سعيد البوطي حفظه الله: ذاك الذي ذكره ابن عطاء الله في واحدة من حكمه، إذ قال: ((تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال)). وفسّره الأستاذ بقوله: إنه داء العصبية للمذهب وللذات، يقود صاحبه إلى امتطاء الدين سعياً إلى نصرة ذاته، ويحمل صاحبه في سبيل ذلك على استصغار واحتقار الخير العظيم الذي يرضي الله وينفع به الأمة، ويسخّر له من شاء من عباده، وعلى استعظام التوافه والهنات الاجتهادية التي قد يتعرض لها كل من كان دون مرتبة الرسل والأنبياء.

بَيْدَ أنَّ أصحاب الدعايات الضالة المضلة المطنطنين منذ مدة على منابر الشام بأكاذيب جديدة وقديمة سموها (التجديد وتحرير المرأة ووحدة المِلل) و(القراءة المعاصرة) و(العدل والتوحيد)، كانوا أجدر بالاعتراض عليهم ممن يَنفع خطابُه حياة الأرواح ويغذيها بنور الإيمان. وصدق الصادق الأمين القائل ﷺ:

((يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ))

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا))

رواهما الشيخان. وليُتأمّل أن كلاً من أبي هريرة وحذيفة راوِيَيْ هذين الحديثين: يمانيٌّ.

*

*   *

قال مسطِّره العبد الضعيف أبو حمّاد جبريل بن فؤاد بن نصري حـدّاد اللبناني ثم الصالحي النقشبندي الشافعي الأثري عفي عنـه: فأحببنـا أن ندافع عن الحق مأمورين بأمر المشايخ الأقطـاب، لا سـيما شـيخنا المربّي مولانا الشـيخ محمـد نـاظم القـبرسي الحقّـاني، وإمـام السـادة الرفاعية الداعية الرحالة المربّي السيد يوسف الرفاعي، وإمـام جـامع سيدنا خالد بن الوليد ﵁ بحمص الشيخ المربّي محمد سعيد بن هانئ الكحيل، والإمام المجدد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وإمام مقام سيدنا أرسلان الدمشقي السـيد محمـد عـدنان المجـد الحسـني، وشيخنا المسند العلّامة الآية الداعية الرُّحلة الرحّالة السيد محمد أبـو الهدى اليعقوبي – حفظهم الله ونفعنا بهم – ونوضّح مكانـة الحبيـب علي العلمية بالأدلّة، التي هي حقيقةً أدلّة أهل السـنّة والجماعـة، مـع كونها أوضح مـن الشـمس. نسـأل الله أن يـدخلنا في سـلك أوليائـه وخدم شريعة خاتم أنبيائه ﷺ وآله وصحبه، وهو ولي التوفيق، نعـم المولى ونعم النصير.

الحبيب علي الجفري صاحب حديث صادق أمين في نقله

قال المعترض هداه الله: (إن الشيخ الحبيب علي الجفري ينسب للبخاري ومسلم ما ليس فيهما، وهذا فيه تضليل للناس وقلب للحقائق). والجواب من وجوه:

أولاً: هذه تهمة مبهمة، كان الأولى أن يذكر أمثلة منها حتى يُتأكّد من الخطأ المزعوم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ البقرة.

ثانياً: هَبْ أن أُحْضِرَتْ أمثلةٌ، هل تأكد المعترض أن الشيخ الحبيب علي لم يقصد أصلاً صحيحاً لمعنى الحديث – لا لفظه – بعزوه إلى أحد الصحيحين أو إلى السنن أو غيرها مثلاً؟ فليُعلم أن مذهب المعترضين (استعظام التوافه والهنات) على حد تعبير الأستاذ البوطي، فيتمسك بعض الأغبياء بأخطاء يسيرة للحبيب الجفري لينال منه ظلما وبهتاناً:

١- في عزو الحبيب خبرَ تمسُّح ابن عمر رضي الله عنهما برمانة المسجد النبوي إلى صحيح البخاري؛ نعم، لم يروِه البخاري لكن رواه من هو أجل منه وهو شيخه عبد الله بن مسلمة القَعْنَبي صاحب الإمام

مالك، الذي قال عنه مالـك: إنـه خـير أهـل الأرض، أخرجـه مـن طريقه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال:

(رأيت ناسا من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون.)

وفي (التمهيد) لابن عبد البر قال: عن محمد بن إبراهيم بن الحارث – هذا هو أحد ثقات أهل المدينة ومحدثيهم معـدود في التـابعين – روي عنه أنه قال: **رأيت سعد بن أبي وقـاص وعبـد الله بـن عمـر يأخـذان برمانة المنـبر ثـم ينصرفـان.** اهـ. وفي (سِـيَر النـبلاء): قـال مصـعب الزبيري: سمعت ابن أبي الزبير يقـول: حـدثنا مالـك، قـال: رأيـت عطاء بن أبي رباح دخل المسجدوأخذ برمانة المنبر ثم استقبل القبلـة. اهـ.

ب– في عزو الحبيب خبرَ اقتراح الصـحابة أن يُـدفَن رسـول الله ﷺ عند منبره. قال صاحب الموقع الوهابي على الإنترنت:

«يقول الداعية علي الجفـري: إن مسـلماً روى في صـحيحه: أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اقترحوا عند موته أن يدفنوه عند منبره ، أي في مسجده.

«**وبهذا ينصر الجفري مذهبه في جواز دفن الأموات داخل المساجد.**
«وأنا أطلب منه أن يظهر لنا هذه النسخة الفريدة من صحيح مسلم التي يملكها والتي فيها هذا الحديث. لأن الحديث لم يروه مسلم ، بل رواه ابن ماجه وأحمد والبيهقي وأبو يعلى، كلهم من طريق حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس [...] كان يُتهم بالزندقة. قلت: أفهكذا تكون العصبية للرأي والمذهب؟ بأن نكذب على صحيح مسلم ، وننسب روايات الزنادقة إليه .!!!!! » اهـ.

بل رواه من هو أَجَلُّ من مسلم وأشد شرطاً وهو الإمام مالك في الموطأ: بَاب مَا جَاءَ فِي دَفْنِ الْمَيِّتِ: حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَدُفِنَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَصَلَّى النَّاسُ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا لَا يَؤُمُّهُمْ أَحَدٌ **فَقَالَ نَاسٌ يُدْفَنُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ** وَقَالَ آخَرُونَ يُدْفَنُ بِالْبَقِيعِ. ورواه أبو مصعب عن مالك أيضا، ووصله ابن سعد في طبقاته وصححه ابن عبد البر في التمهيد.

ج- في عزو الحبيب خبرَ ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه الوارد في الإحياء:(شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء) إلى أبي داود، والذي رواه أبو داود: (**مَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنْ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ الله بُعْدًا**).

فادعى الغبيّ أن (الحبيب علي يكذب على أبي داود). أو حديث رواه الدارقطني فيعزوه إلى الطبراني، فيصرخ أحدهم: يكذب على الطبراني، الخ.

ثالثاً: هل تأكد المعترض من فقه ومفهوم الكلام الذي يعترض عليه عند العلماء؟ فيقول بعض الأغوياء مثلاً إن الحبيب علي قلب معنى حديث زيارة أبي هريرة لجبل الطور، وهو في الحقيقة لم يقلب شيئاً قط، بل ذكر الحكم الصحيح المستنبط من الدليل النقلي، شاء الجاهل أم أبى، وإليك نص كلامه:

> قال: «يقول الجفري إن أبا هريرة الذي روى حديث لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة ، هو نفسه قد شد رحله من المدينة إلى سيناء لكي يصلي في الطور الذي ناجى فيه موسى عليه الصلاة والسلام ربه تعالى.
>
> قال: «ويستدل الجفري بأن أبا هريرة مع روايته للحديث قد خالف المعنى الظاهر منه ، وهو المنع من شد الرحل ، لينصر الجفري بذلك مذهبه بشد الرحال إلى القبور وغيرها.
>
> قال: «وإليكم نص الحديث كاملاً ، واللون الأحمر [المسطَّر تحته] هو الكلام الذي حذفه الجفري: ((لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاءٍ من الطور ، فقال: من أين أقبلت ؟ قال: من الطور ؛ صليت فيه ، قال: أما لو أدركتك قبل أن

ترحل إليه ما رحلتَ ؛ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى)).

قال: «فانظروا كيف انقلب المعنى وانظروا كيف أنكر أبو بصرة على أبي هريرة رضي الله عنهما ذهابه مستدلا عليه بهذا الحديث ، مما يؤكد عكس المعنى الذي يقول به الجفري ، فيا أمة الإسلام هل بعد هذا كذب وافتراء.» اهـ.

فتجاهل المعترضُ الدليلَ الواضح الذي أورده الجفري، أن أبا هريرة رضي الله عنه راوي حديث **لا تُشدّ الرحال**، وهو من أصحاب الفتوى المتوسطين من الصحابة، قد زار جبل الطور على سبيل التبرّك والتعبّد، كما فعل ألوف النسّاك والعبّاد من السلف الصالح معه وبعده فيه وفي جبل لبنان وغيرهما، وتشد الرحال إلى مسجد قباء، قيل لمالك: فهل من هذه المساجد شيء نأتيه؟ قال: مسجد قُباء. رواه ابن أبي زيد في جامعه.

رابعاً: الحبيب علي الجفري صادق أمين في نقله الأحاديث والآثار بل هو صاحب حديث، متبحّر فيه وفي علومه، أثري النفس، ومع ذلك يورد الخبر في مقام العمل به لاستجلاب الفوائد العقدية والروحانية العملية، ليس فقط للرواية والتعليم. روى الإمامان أبو نعيم وتلميذه الماليني وتلميذا الأخير: البيهقي والخطيب بإسنادهم إلى

بشر بن الحارث رضي الله عنه ورحمهم أجمعين، يقول لأصحاب الحديث: أدّوا زكاة هذا الحديث. قالوا: وما زكاته؟ قال: اعملوا من كل مئتي حديث بخمسة أحاديث.

خامساً: هل وافق المعترِض أحدٌ من أهل الصنعة الحديثية الثقات على تهمة فُحش العزو الخاطئ حتى يَصدق قوله هذا تضليل الخ؟ والأمر نسبي: قد يقع الخطأ نادراً في مكتوبات كبار العلماء المشهود لهم بعلم الرواية والدراية بل في مرويّات كبار الحفّاظ والمحدّثين، أو عند كبار وعّاظ الأمة في بلادنا وفي غيرها، فما بالك بكلام الواعظ الرحّالة، المولع بمهمات النصيحة، الحريص على الأمة بالإرشاد، القائم على الدعوة الحقّة بكل معنى الكلمة على قدم صدق سلّمه له من هم مظنّة ولاية فمن دونهم، يورد الآيات والأحاديث الكثيرة، وليس غرضه الرواية ولا التخريج والتحقيق المختص؟ فيعتمد على ذاكرته وقد يسهو في بعض العزو لأنه غير معصوم، قال أهل السنة: العدلُ فينا من غلبت حسناتُه سيّئاتِه، وليس الذي ليس له خطأ! وليس من شرط الدعوة والخَطابة: الحفظ المطلق والسلامة من الخطأ في العزو إلى الصحيحين. فلو افترضنا أن للحبيب الجفري عشرين زلة في العزو إلى الكتب ضمن ألف ساعة من كلامه مثلاً، وتعجرف به أحد السفهاء من المجاهيل الجهلة الحسدة المتفرّغين لتتبّع عورات

المسلمين والتجسس على العلماء؛ أفيُترك من أجله أمثال الجفري؟ هذا لا يخطر إلا على بال أحمق.

وأسلوب الحبيب علي – أعلى الله مقامه في الدارين – فذّ غزير جداً لغزارة علمه وصفو إلهامه وتوجّهه وتركيزه وكرامة مشيخته، جزاهم الله عنا خير الجزاء! فساعة من كلامه كثلاث ساعات من كلام غيره عدداً، أما مدداً، فلم نر ولم نسمع مثله قط في هذا القطر.

ونور الحكمة الراشدة المهدية: لب الخطاب ومقصوده، لا الحروف والمَراجع. لذا تجد مئات الغربيين يأتون مع أزواجهم من أمريكا والسويد وفرنسا وبريطانيا يريدون ليس فقط أن يدخلوا في الإسلام لكن أن يهاجروا إلى اليمن ويسلكوا طريق العلم وتزكية النفس. أتضليل هذا؟ بل إنه عين الهداية وثمرتها. وكفى به له شرفاً وفضلاً على من أراد انتقاصه.

الحبيب علي الجفري لا يصحح إلا ما صححه المحققون

قال المعترض هداه الله: (ينقل تصحيح العلماء للحديث والواقع أنهم يضعّفونه ولا يصححونه.)

فهل أحاط المعترض العزيز المتأثّم بجميع ما قاله علماء الحديث في الحكم على هذه الأحاديث المفترضة؟ فقد يوجد وجه قوي لتصحيح أو تحسين حديث ضعّفه أكثرهم ثم يأتي العالم المحقِّق فيصححه.

كحديث: ((**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُم، اهْتَدَيْتُمْ.**)) مال إلى تقويته البيهقي في المدخل والاعتقاد، وابن عبد البر في جامع بيان العلم، والقاضي عياض في الشفا، والحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة في حاشية الأجوبة العشرة للإمام اللَّكْنَوي، وحسّنه الصاغاني وصححه اللكنوي مع كونه مشهور الضعف.

وحديث: ((**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا.**)) كذّبه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ويحيى ابن سعيد القطّان وابن الجوزي والذهبي وغيرهم كالقرطبي في تفسيره لكن مال إلى تحسينه الحافظ ابن حجر وحسّنه العلائي– في أجوبتهما على القزويني لتوضيعه بعض أحاديث

مشكاة المصابيح – والزركشي في التذكرة، والسخاوي في المقاصد، والسيوطي في اللآلئ والتعقبات والدرر والحاوي للفتاوى، والهيتمي في الفتاوى الحديثية، والفتَّني الهندي في تذكرة الموضوعات، والشوكاني في الفوائد المجموعة، وذهب الحاكم والشيخ أحمد الغُماري إلى تصحيحه.

ونحن نعتقد أن الحبيب علي الجفري باب من أبواب العلم نفع الله به الكثير من الناس، فهو على حد قول الشاعر: تحيا بكم كل أرضٍ تنزلون بها، أعزّه الله وأكثر من أمثاله.

والاختلاف في الفروع أمر واقع معلوم في الأمّة المرحومة، وقد قعّد العلماء أن الاعتراض لا يجوز إذا وقع الخلاف المعتبَر. أما خلاف من ليس هو أهل أو من غير أهل السنّة فلا يلتفت إليه أصلاً. وخلاصته أن الشيخ الحبيب علي قد يكون مقلّداً لمن صحح هذه الأحاديث المبهمة المزعومة الضعف ولم يحط بعلمهم الشيخ المعترض.

ثم إن من علماء الحديث المتخصصين من يحكم على وضع الحديث أو ضعفه الشديد مبنىً، مع حكمهم على صحته معنىً: كالزركشي، والسيوطي، وابن عرّاق في (تنزيه الشريعة المرفوعة)، والقاري في (الموضوعات الكبرى)، والعجلوني في (كشف الخفاء). وقد تُرفع

المقالة إلى حبيب الله عليه الصلاة والسلام، تساهلاً، أو تسليماً لمن يُرى أهلاً أن يُقلَّد، لا بقصد الكذب، بل يؤيدها غالباً أصلٌ ثابت. فهل الزركشي والسيوطي و... من المضِلّين؟ كلا. رحمهم الله.

الحبيب علي تَبَعٌ للإجماع على جواز رواية الحديث الضعيف والعمل به

أما إذا كان الحديث ضعيفاً ليس شديد الضعف، فلا إشكال في إيراده والعمل به في فضائل الأعمال قولاً واحداً، كما ذكره أهل الإجماع وأشار إليه البيهقيُّ في مقدمة (دلائل النبوة)، وابن عبد البر في (التمهيد)، والنووي في (المجموع) و(الإرشاد) و(شرح صحيح مسلم) و(الأذكار)، وابن تيمية في (شرح العمدة) و(مجموع الفتاوى) و(مسودة آل تيمية)، والسخاوي في (فتح المغيث) و(القول البديع)، وعلي القاري في (شرح الشفا) و(مرقاة المفاتيح) و(الأسرار المرفوعة)، والشيخ علوي بن عباس المالكي في (المنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف) رحمهم الله. مع كون شرط بعضهم أوسع فعند النووي (ما لم يكن موضوعاً) ونحوه العراقي في (فتح المغيث).

ولم يخرق هذا الإجماع على علمنا إلا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله في قواعد التحديث تسليماً لبعض النقول، وقلّده ناصر الألباني فنسبا غلطاً إلى الشيخين ويحيى بن معين وابن حزم والقاضي أبي بكر بن العربي المالكي والشوكاني آراء مكذوبة، إنما رأيهم أوعملهم موافق كل الموافقة لما ذكرناه من الإجماع. وإلى القارئ الكريم الأدلة على هذا:

فالبخاري يستشهد بالحديث الضعيف في الأدب المفرد والقراءة خلف الإمام والدعاء ورفع اليدين وبر الوالدين وحتى في تراجم صحيحه تعليقاً، كقوله مثلاً: (بَاب مَا يُذْكَرُ فِي الْفَخِذِ: قَالَ أَبُو عَبْد الله: وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَرْهَدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **الْفَخِذُ عَوْرَةٌ**. وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ حَسَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَخِذِهِ. قَالَ أَبُو عَبْد الله: وَحَدِيثُ أَنَسٍ أَسْنَدُ وَحَدِيثُ جَرْهَدٍ أَحْوَطُ.) وقال تلميذه الترمذي رحمهما الله في السنن عن حديث جرهد: (مَا أَرَى إِسْنَادَهُ بِمُتَّصِلٍ.)

ومسلم يمنع الرواية عن الكذاب والوضاع ، لا عن الضعيف العدل الصدوق. هذا مفهوم كلامه في مقدمة صحيحه كما ذكره النووي في شرح صحيح مسلم وابن القيم في إعلام الموقعين، والسخاوي في القول البديع، والدكتور نور الدين عتر في هوامش شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب. وبرهانه التطبيقي: رواية مسلم حديث عائشة رضي الله عنها (**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**) في المقدمة وروايته عمن تُكُلّم فيهم: كشداد بن سعيد الراسبي، والوليد بن أبي وليد، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، جميعه في أحاديث فضائل الأعمال كالأدب والتوبة والبر والصلة وفضائل الصحابة.

ويحيى بن معين فالقول في موقفه ما نقله عنه ابن أبي حاتم في (مقدمة الجرح والتعديل) والخطيب في (الكفاية)، وابن رجب في (شرح علل الترمذي)، والسخاوي في (فتح المغيث). ولا يغتر بما حكى ابن سيد الناس في مقدمة (عيون الأثر) أن ابن معين كان يمنع رواية الحديث الضعيف مطلقاً؛ بل الصحيح أنه مشى على قاعدة السلف من أهل الحديث في روايته والعمل به في الفضائل وغيرها. ونقل ابن عدي في الكامل عن ابن أبي مريم: (سمعت يحيى بن معين يقول: إدريس بن سنان يُكتَب من حديثه الرِّقاق.)

وابن حزم يذكر قول الإمام أحمد (الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي) ثم يقول (صدق أحمد رحمه الله) في كتابه (الإحكام)، ويقول مرة أخرى (ضعيف الحديث خير من الرأي)، وهذا في أحاديث الأحكام فما بالك بما سواها! وفي (رسالته في الإمامة) – وهي جوابه عن سؤال مالكيٍّ سأله عن الصلاة خلف المخالف في المذهب – يقول: (ذكرتَ أن هذا الإمام قيل عنه: إنه يجيز الوضوء بالنبيذ، فاعلم يا أخي أن الوضوء بالنبيذ، وإن كنا لا نقول به لأنّه لم يصحَّ الحديث في ذلك عن النبي ﷺ، فقد رويناه عن علي بن أبي طالب وعكرمة والأوزاعي، ورُوي عن الحسن بن حي وحُميد بن عبد الرحمن وغيرهما من الفقهاء. فإن كنتَ لا تجيز الصلاة خلف هؤلاء، فأنت أعلم!) يقول (أنت أعلم) استنكاراً عليه وزجراً. فانظر كيف

يستشـهد ابـن حـزم بروايتـه للحـديث الموقـوف والمقطـوع – أي الضعيف عنده بلا ريب – ليجيـز عمـلاً في العبـادة وتقليـدَ مـالكي لمذهب أهل العراق على غـير أصـل مرفـوع صـحيح عنـده، خلافـاً لمبادئه.

وابن العربي المالكي يقول في (عارضة الأحوذي) في حديث (**يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ ثَلاثاً**) عنـد قـول الترمـذي إنـه حـديث غريـب وإسـناده مجهول: (وهو إن كان مجهولاً، فإنه يسـتحب العمـل بـه، لأنـه دعـاء بخير، وصِلة للجليس، وتودد له) ونقلـه الحـافظ في (الفـتح) وزاد: (فالأولى العمل به). ونقل ابن عرّاق الدمشـقي في (تنزيـه الشريعـة) عن (مراقي الزُّلَف) لابن العربي نفسـه قولـه في حـديث (**إِذَا جَـامَعَ أَحَدُكُمْ زَوْجَتَهُ أَوْ جَارِيَتَهُ فَلا يَنْظُرْ إِلَى فَرْجِهَا فَـإِنَّ ذَلِـكَ يُـورِثُ الْعَمَـى**)، قـال: (وبكراهـة النظـر أقـول، لأن الخـبر وإن لم يثبـت بالكراهية فالخبر الضعيف أولى عند العلماء من الرأي والقياس.) كـما أفاده الأسـتاذ محمـد عوّامـة حفظـه الله في هـامش (القـول البـديع) للسخاوي ص ٤٧٢. ونحوه أيضاً في (المحصـول) في أصـول الفقـه لابن العربي رحمه الله.

والشـوكاني يقـول في أبـواب الطـب مـن كتـاب الأشربـة في (نيـل الأوطار)، باب ما جاء بالحجامة وأوقاتها: (والحاصـل: أن أحاديـث

التوقيت، وإن لم يكن شيء منها على شرط الصحيح، إلا أن المحكوم عليه بعدم الصحة: إنما هو في ظاهر الأمر، لا في الواقع. فيمكن أن يكون الصحيح ضعيفا والضعيف صحيحا، لأن الكذوب قد يصدق والصدوق قد يكذب. فاجتناب ما أرشد الحديث الضعيف إلى اجتنابه واتباع ما أرشد إلى اتباعه من مثل هذه الأمور، ينبغي لكل عارف. وإنما الممنوع: إثبات الأحكام التكليفية أو الوضعية أو نفيها بما هو كذلك.)

إيراد ما قد يكون لا أصل له لا يلزم منه نفي الفوائد بالكلّية

وقال المعترض هداه الله: (أو يكون الحديث لا وجود له في كتب الحديث كلها).

هذا الاطّلاع المحيط قلّما يسلَّم لكبار حفّاظ الخلف الصالح فكيف لمن دونهم بكثير في تلك المرتبة؟ وهذا الإمام الذهبي وناهيك به قال في الحافظ أبي بكر الإسماعيلي صاحب المستخرج على صحيح البخاري: (ابتهرتُ بحفظه! وجزمتُ بأن المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ والمعرفة.) ذكره في الرسالة المستطرفة.

وإيراد الحديث الغريب جداً أو المنكر أو الذي لا أصل له أمرٌ نسبي أيضاً، قد تجده منطوٍ على ندرة أو كثرة في كلام غزير كله مفيد إن شاء الله تعالى، فهذا كتاب **إحياء علوم الدين** العظيم الفوائد والأنوار والبركات، و**قوت القلوب**، و**اللمع**، و**الغنية لطالبي طريق الحق**، و**الشفا في معرفة حقوق المصطفى** ﷺ، ما سلم أحدها من تهمة التضليل وقلب الحقائق في نظر المعترض. ورغم ذلك فالإحياء ليس له ثانٍ في كتب الإرشاد، حتى ينقل عن أحد أقطابه، وهو سيدي الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال: ترك الأمة لمطالعته من أسباب الضيم عليها. وقال: الإحياء يورث العلم والقوت

يورث النور كما في لطائف المنن لابن عطاء الله. والله يعفو عنا. وكتاب الإحياء مقرر عند سادة باعلوي كما تراه في فتاوى القطب سيدي عبدالله الحداد رضي الله عنه.

نعم نحن نعرف الرجال بالحق لا العكس ونقول: هذه الكتب عملية شأنها العمل – كما هو شأن التصوف عامة – لا الكلام. وثمرة العمل الرجال. والرجل يخاطبك بحاله قبل لسانه. هذا واضح، اللهم نعوذ بك من علم لا ينفع. فرحمهم الله، اتخذناهم أئمة فيما بيننا وبين الله وانتصحنا بهم وبنصيحة غيرهم من أبناء الرسول ﷺ: العلماء المتقين والأولياء الصالحين ونرجو شفاعتهم كما هو اعتقادنا في هذا النبيل الهاشمي الحبيب. فإذا أراد الخصم أن يخاصمهم يوم القيامة فهو وما اختار.

تحريم الكذب على رسول الله ﷺ ذو حدّين:
حدّ التزييف وحدّ التكذيب

قال المعترض هداه الله: (ونحن نعرف الحديث المتواتر: من كذب علي متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.)

نعم، وممن يستشهد بهذا الحديث العظيم على زيد من الناس كثير ما يغفل عن معنىً آخر خطير جداً قد يدخل فيه هو، وهو أن يردّ شيئاً لعل رفعه إلى رسول الله ﷺ صحيح! لذا نجد في بعض رواياته عن أبي بكر الصدّيق، وفي كونه رواها سر لطيف رضي الله عنه: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً **أَوْ رَدَّ شَيْئاً أَمَرْتُ بِهِ** فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.))

ثم أوّل الحديث فيه الأمر بالتبليغ والحث على الدعوة، وتجويز التحديث عن اليهود والنصارى: ((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**.))

فإذا أخطأ أو سهى الراوي فهل يكون قد تعمّد الكذب على رسول الله ﷺ؟؟ وهل يمكن لعالم من علماء المسلمين أن يكذب على النبي ﷺ متعمّداً أو لمثل الحبيب علي الجفري أن يكذب على

جده متعمّـداً؟ والنبـي ﷺ يقـول كـما في السـنن وغيرهـا: ((**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَـا اسْـتُكْرِهُوا عَلَيْـهِ.**)) حسّـنه الإمام النووي كما في تلخيص الحبير.

وَهَبْ أن وقع الخطأ كما زعم الناقل لك فكم وكم من العلماء توبعـوا على أخطائهم واستدرك الناس عليهم في كل فنون العلم سـيما اللغـة والتاريخ والحديث:

كأوهام أبي عبيد لابن قتيبة؛
وأوهام المحدِّثين للإمام مسلم بن حجاج صاحب الصحيح؛
ودرة الغواص في أوهام الخواص للحريري الأديب؛
والتنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه للبكري الأندلسي؛
والوهم والإيهام الواقعان في كتـاب عبـدالحق الإشـبيلي المسـمى بالأحكام لابن القطان الفاسي وهو من الصحاح المشهورة؛
وتصحيفات المحدّثين للخطابي؛
وتنبيه اللبيب في تحقيق أوهام الخطيب للحافظ الجُنابِذي الحنبلي؛
وأوهام المنذري في الترغيب والترهيب للناجي؛
والإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام لابن ناصر الـدين الدمشقي؛

وللفيروزآبادي تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين، قال البرهان الحلبي: (تبع فيه أوهام المجمل لابن فارس في ألف موضع مع تعظيمه له وثنائه عليه)؛

والهداية إلى أوهام الكفاية للأسنوي في الفقه الشافعي؛

وأوهام الاستيعاب لأبي علي الغساني وابن فتحون، استدركا فيهما على ابن عبد البر كما استدرك عليه الحافظ النسّابة شرف الدين الدمياطي ما ذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ١٠٧-١١٥؛

وأوهام الإمام البخاري اللغوية والتاريخية في صحيحه، استدركها عليه الدمياطي كما في طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ١١٥-١٢٢؛

وأوهام أبي نعيم في كتابه معرفة الصحابة للحافظ عبدالغني المقدسي؛

وأوهام الحاكم للحافظ عبد الغني بن سعيد المصري، قال ابن كثير في النهاية: (فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب فيه من الرد عليه رحمهما الله.) آمين!

وكثير من الردود الهادئة والاستدراكات النيّرة على فحول العلماء في اختصاصهم بدون تضليل أو تجريح، وإنما هو دليل وبرهان وبيان

للخطأ من غير تعسّف أو جلافة في اللفظ. بل غدت هذه التقـويات من الكنوز التي نعتز بها تحقيقاً لمعنى الحديث الأصل العظـيم: ((**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَـمَ فَاجْتَهَـدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ.**)) متفق عليه.

قد طعن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون في بني أميّة

وقال المعترض هداه الله: (يطعن في بني أمية، في دولة جعل الله تعالى سيف الإسلام في فتوحاتها.)

الرجل بريء حتى تثبت إدانته كما أمر الله تعالى في قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات؛ وفي رواية سبعية ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾. لكن هب أن الشيخ علي تكلّم في ذلك أنمنع حديث رسول الله ﷺ القائل: (**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**)؟ فقال مروان: لعنة الله عليهم، **غِلْمَة!؟** فقال أبو هريرة رضي الله عنه: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي – القائل عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو ابن سعيد ابن العاص الأموي – إلى بني مروان حين ملكوا بالشأم، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم؟ قلنا: أنت أعلم. رواه البخاري. وفي لفظ آخر: **أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ**.

ومعلوم أن الخلافة انقطعت من آل سفيان عند موت يزيد إلا أشهر قليلة حتى وفاة ابنه معاوية وانتقلت إلى بني مروان بن الحكم إلى أن خلفهم بنو العباس كما في (البداية).

وفي الصحيحين: **يُهلِك أمّتي هذا الحيُّ من قريش**. وعنه أيضاً في مسند أبي يعلى: أن رسول الله ﷺ رأى في المنام كأن بني الحكم ينزون – أي يثبون – على منبره وينزلون فأصبح كالمتغيظ وقال: **مَا لِي رَأَيْتُ بَنِي الحَكَمِ يَنْزُونَ عَلَى مِنْبَرِي نُزُوَّ الْقِرَدَةِ**؟ قال فما رُئِي رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات ﷺ. رواته رجال مسلم إلا مصعب بن عبدالله الزبيري وهو ثقة.

وكان يسميهم أبو هريرة رضي الله عنه إمارة السفهاء، ولُكَع بن لكع، وإمارة الصبيان، وكان يدعو الله أن يقبضه قبل حلولها، وهذا أيضاً معنى حديثه المشهور في البخاري: (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ). يشير إلى علمه برؤوس الفتن من بني أميّة بعد معاوية رضي الله عنه – الذي كان ضريحه في الباب الصغير أول مقامٍ زاره شيخ الحبيب علي الحبيب عمر بن حفيظ أبو سالم قدّس سرّه ليقرأ له الفاتحة ويسلّم عليه أثناء زيارته الأخيرة إلى الشام كما أُخبِرنا.

أما إن كان الكلام في يزيد بسبب قتل الحسين رضي الله عنه: فقد روى الروياني في مسنده وابن أبي شيبة وابن عساكر بسند رجاله رجال الصحيحين إلا مهاجر بن مخلد وهو مقبول: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ**. قال البيهقي: يشبه أن يكون هو يزيد بن معاوية. وإن شئت المزيد فعليك بكتاب (حجة الله على العالمين بمعجزات سيد المرسلين) للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله ص ٥٢٩ باب (إخباره ﷺ بحال من بعد معاوية من بني أميّة).

فإن تكلّم الشيخ علي الجفري فإنه تكلّم في هذا الجانب المُزري الذي لا يستطيع أحد أن يسكت عليه وهو يخالف القرآن والسّنة وإجماع المسلمين. وقد تكلّم قبله غيره من علماء المسلمين في هذه الأمور ولم يعبْ عليهم أحد؛ ومنها مقتل الحسين – وهو أمر مستبشع، بل أكبر جريمة في تاريخ الإنسان بعد قتل الأنبياء عليهم السلام – فكيف السكوت عليه؟ حتى إن كثيراً من العلماء الكبار ألّفوا في ذلك كتباً لا يسع للعاقل ردّها أو تنقيصها لأنها انتقدت بعض تصرّفات بني أميّة الخارجة عن الإسلام. حتى إن من العلماء من أباح لعن يزيد والكلام فيه كالإمام أحمد في رواية أبي يعلى في (المعتمد في الأصول) عنه كما ذكره الهيتمي في (الصواعق المحرقة)، والتفتزاني في (شرح العقائد النسفية). وكان يترحّم عمر ابن عبد العزيز على يزيد لكن جلد من

سمّى يزيداً بلقب أمير المؤمنين عشرين جلـدة، ذكـره ابـن حجـر في (لسان الميزان).

قال الشيخ الداعية أبو الحسن الندوي رحمه الله في كتابـه (المـرتضى): (لم يزل أئمة أهل السـنّة يسـتنكرون فعـل يزيـد وقـوّاده، ويتـبرؤون منهم، ويستفظعون شهادة الحسين ومن كان معه من آل البيـت غايـة الاستفظاع، قال الإمام أحمد بن حنبل: وهل يحب يزيـداً أحـدٌ يـؤمن بالله وباليوم الآخر؟ وقد قال شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية: أما من قتـل الحسـين أو أعـان عـلى قتلـه، أو رضي بـذلك، فعليـه لعنـة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله مـنهم صرفـاً ولا عـدلاً.) ثـم ساق نصوص بعض أئمة أهل السنّة والحديث في الهند، فمنهم:

قال الإمام أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني رحمه الله في رسائله ج١ رقم ٢٥١: (إن يزيد الذي حرم السعادة والتوفيق: من زمرة الفساق. أما التوقّف في لعنه فهو على أصول أهل السـنّة أن الشـخص المعـيّن، ولو كان كافراً، لا يسرع إلى لعنه، إلا أن يعرف بـالقطع أنـه خـتم لـه بالكفر كأبي لهب وامرأته، وليس ذلك أنه ليس جـديراً بـاللعن، فـإن الله تعالى يقـول **إن اللذين يؤذون الله ورسوله لعـنهم الله في الـدنيا والآخرة.)**

وقال العلامة الشيخ عبد الحق البخاري الدهلوي المحدّث الكبير في كتابه (تكميل الإيمان): (وبالجملة فإن يزيد من كبار المبغوضين عندنا، والفظائع التي ارتكبها هذا الشقي الذي خانه التوفيق في هذه الأمة، لم يقترفها أحد في هذه الأمة.)

وقال الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بشاه ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) في مبحث الفتن، وفي شرح حديث (**ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلالَةِ**): (ودعاة الضلال يزيد في الشام، ومختار في العراق.)

أمّا ما فعله بنو أمية للإسلام من حسنات كالفتوحات، فلا أحد يستطيع أن ينكرها وهي في ميزان حسنات من قام بها منهم رحمهم الله تعالى.

احترام الحبيب الجفري البالغ للصحابة الكرام
رضي الله عنهم أجمعين

من كلمته في جلسة إحياء مولد سيدنا الحسين رضي الله عنه

في مصر المحمية ٢٨ ربيع الثاني ١٤٢٣

قال رضي الله عنه: «شأن تعلّقات القلوب إذا أحبّت: شأن عظيم... إنه شأن الحب إذا خالج القلب فامتلكه، أن يتعلّق القلب بكل ما له صلة أو تعلّق بالمحبوب. وقد أقرَّ – روحي له الفِدى! – هذا المعنى، بل إنه قد شيّده، حتى قال في شأن المدينة ﷺ:

((غُبارُ المَدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ الْـجُذَامِ.))

[رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن إبراهيم بلاغاً وأبو نعيم في الطب عن ثابت بن قيس بن شماس وابن السني والرافعي في أخبار قزوين وأبو سعد السمان فى مشيخته ورمز السيوطي لضعفه]

«فما هذا المعنى يا رسول الله؟ الناس تعرف أن المدينة، قبل أن تطيِّبها بك، كانت تسمَّى يثرب، وكانت أرضاً وبيئةً، وخيمةً، يمرض من دخلها ويصاب بالحُمّى، ولقد مات أبوك فيها، وأُمرضت أمك فيها مما فيها من الوباء والأذى، لكن لما دخلتها ونزلت بسوحها، وكرّمتها وشرّفتها، ارتقت بحضرتك إلى مرتقىً صارت فيه معشوقة الأرواح، بل صار ترابها وغبارها يستشفى به!...

«وإذا كان التراب، وكان الغبار، لما تعلّق بجنابه ﷺ صار يُستشفَى به، فكيف بمن قويت صلته بحضرته من أثرٍ خلَّفه؟ إذا كان هذا شأن غبار انتسب إلى قربٍ منه، فكيف بمن هم قطعةٌ منه ﷺ؟ فكيف بمن يجري دمه الشريف بعروقهم؟ فكيف بمن برزوا من حضرته؟... ألا يكون الارتباط بهؤلاء الأحباب وسيلة لرضاء الملك الوهاب؟...

«ومن هذا الباب: تهيأت القلوب الصادقة والألباب إلى فقه معنى الصِلة بحضرة سيّد الأحباب من أبواب عترته، وكذلكم من أبواب أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم: عندما كثر الكلام عن الصدّيق رضي الله عنه، التفت ﷺ وقال: (**فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟؟**) البخاري. فتأمّلوا هذا المعنى الراقي: هلَّا تركتُم **لي!** لم يناقشْهم رسول الله ﷺ فيما حصل: قال أم لم يقل، فعل أم لم يفعل... يريد أن يرفعهم إلى ذوق التعامل بمعنى المحبّة. وفي ذلك سلامةٌ للناس من أنفسهم وحظوظها وألاعيبها عليهم. ... قال: هلا تركتم لي؟ من أجلي؟ أليس لي حقٌ عليكم؟ أليس لي شأنٌ عندكم؟ أليس لمحبّتي صَولةٌ على نفوسكم فتخضع هذه النفوس؟ هلا تركتم **لي صاحبي**؟ (**إِنَّ أَمَنَّكُمْ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا؛ سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا**

الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ) متفق عليه. لتستشعر القلوب خروجاً عن تعلُّقات الأنفس وحظوظها.

«لهذا قالوا: لا يجتمع حبّ عثمان وحب عليٍّ إلا في قلب المؤمن. [مأثور عن الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه.] لِمَ؟ قالوا: لأن القلوب إذا أقبلت على محبة الحبيب، والأرواح إذا صدقت في محبّة الحبيب، ورأت الأنفسُ الأمّارة بالسوء أن لا مفرَّ من تحقق هذا المعنى، بدأت تشاغل القلوبَ في محبّتها بحظّها: فتريد الأنفس أن تُدخِل حظوظَها في حضرة المحبّة – والمحبّة لا تقبل الحظوظ قط. فلهذا، إن وجدَت النفوسُ الأمّارة بالسوء وإن وجد الشيطان أن القلوبَ قد مالت إلى محَابّ الله واتّصلت بحبيبه المصطفى، نظرت: من أين يمكن أن يؤتَى هذا القلب فيُحال بينه وبين صِرف المحبّة وحقيقتها؟ فإن لَفَت القلب إلى شؤون البَشَريَّات والنواقص، شَغَلَ القلبَ إما بالصحابة وإما بأهل البيت. ولذا لا تجد مبتدِعاً يمتلئ ويسكَر بحب أهل البيت والصحابة في آنٍ واحد قط.

«تجد صاحب العلة – صاحب حظوظ النفس – إن أحبّ أهل البيت وتكلّم عنهم، وأثنى عليهم، وتشيّع لهم: تلعَب عليه نفسه وتلعب عليه حظوظه، فإذا به يسيء الأدب على رسول الله في أصحابه! لماذا أحببتَ أهل البيت؟ قال: لأنهم أهل بيت **النبي**ّ! أحببتَهم أنت له

ﷺ. إن كان حبّك لهم من أجله خالصاً صافيا، لا لِحَظٍّ عندك، ولا لاختيارٍ في نفسك: فهؤلاء أصحابه. هؤلاء أهله؛ وهؤلاء أصحابه. الهاء عليه واحدة عائدة! أهلُـ(هُ)، أصحابُـ(هُ)! لما ادّعيت أنك (مِن أجلِه) أحببتَ آل بيته، ثم بعد ذلك لم ترَ أنّه (مِن أجلِه) يُكرَمُ أصحابه ويُحَبُّ أصحابه؟؟

«والآخر يتكلّم ويقول: نحن نريد الكتاب والسنّة، نريد ما عليه رسول الله وأصحابه، الفرقة الناجية: من يكون ما كان عليه هو وأصحابه، ونحن نتولّى أصحاب رسول الله. حسن؛ ما لكم وما شأنكم وأهل البيت؟ قالوا: (لا، لا، لا، لا، هم مثل الناس، هم مثل الناس، أحسِنِ الأعمال تكُن مثل الحسين.) يا قليل الأدب! يا قليل الأدب! يا من لم يفقه شأن أهل الرُتَب! يا من لم يصدُق في دعواه أنّه أحب! لو صدقتَ لامتلأتَ حباً للعترة.

«سيّدنا أبو بكر، رضي الله عنه وأرضاه، يقول: (اِرْقَبُوا مُحَمَّداً ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ) كما ذكره البخاري. وجاء أنه لما رأى سيدنا الإمام الكرّار – سيدنا علي بن أبي طالب – وهو حاملٌ لسيدنا الحسن على يده، التفت وقال: بأبي – أي بحق سيّدنا الحسن، يُفَدِّيه بأبيه – بأبي شبيهٌ بالنبي، لا بك يا علي! [رواه البخاري.] يداعب سيدنا علي، ليُشعِرَ مَن يسمع هذا الذوقَ الذي أُشرِبَته قلوبُ الصحابة، حتى

قال: (إسلام إبي طالب أحبّ إلى قلبي من إسلام أبي قُحافة. قالوا لما؟ قال: لأنه أحبّ إلى رسول الله ﷺ وعلى آله.) [أخرجه عمر بن شَبَّة وأبو يعلى وأبو بشر بن سمُّوْيَه في فوائده والحاكم عن أنس وصحح الحافظ إسناده في الإصابة بلفظ: (فلما مد أبو قحافة يده يبايعه ﷺ بكى أبو بكر فقال النبي ﷺ: **مَا يُبْكِيكَ**؟ قال: لَأَن تكون يد عمك مكان يده ويسلم ويقر الله عينك أحب إلي من أن يكون.)]

«وسيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وأرضاه، لما طلب سيدنا الإمام الحسين أن يأتيه، فجاء فوجد ابن عمر منصرفا من باب أبيه، قال ما لك؟ قال: لم يأذنْ لي أبي، فرجع الإمام الحسين، فلقيَه بعد ذلك سيدنا عمر فقال: ما أَخَرَك عني يا حسين، وقد دعَوتُك؟ قال: يا أمير المؤمنين جئتُ فوجدتُك قد رددتَ ابنك من على الباب، فعلمتُ أنّك في شغل، وأنك ستردّني من باب أولى. قال: (وهل عبد الله بن عمر مِثلُك يا حسين؟ وهل أنبتَ شعرةً في رؤوسنا إلاكم أهلَ البيت؟) [روى نحوه عن عمر رضي الله عنه ابن سعد وابن راهويه والخطيب].

«هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم! فمن هذا الذي يروم أن يقدح في شرفهم؟ من ذا الذي يروم أن يتجرأ على حضرتهم؟ من ذا قليل الأدب الذي يريد أن يسيء إلى رسول الله ﷺ

في أصحابه؟ كذب، والله، ما أحبّ أهل البيت! أحب أهـل البيـت؟ نحن أهل البيت. ونحن أدرى بما في بيتنا. نحن برآء ممن أساء الأدب بأصحاب جدّنا! وبيتُنا بريء منهم ولا يقبـل كلامهـم. أهـل البيـت أدرى بما فيه. ونحن، إذا قلنا هذا الكلام، نقوله بما نرويه عن أشياخنا بسند من شيخي إلى رسول الله ﷺ كلُّهم من أهل البيت. هذا منهجنا أهل البيت. مـن تولانـا تـولّى أصـحاب جـدّنا. ومـن أحبّنـا أحـبّ أصحاب جدّنا. ومن أساء الأدب عليه ﷺ في أصحابه، فقـد برئـت منه ذمّتنا. ولذا جاء أن سيدنا جعفر الصادق، عليه السـلام، لمّـا كـان على فراش الموت، دخل عليه بعض من يتشيّع لأهل البيت، ويقـع في سيدنا أبي بكر وفي سيدنا عمر. التفت إليه سيدنا جعفر وقال: أتـرى حالي هذا الذي أنا عليه؟ فال نعم قـال: لا نـالتْني شـفاعةُ جـدّي إن كنتُ لا أتولّى أبا بكرٍ وعمر! [راجع ترجمته في تهذيب الكمال و السير وتذكرة الحفاظ وطبقات الحفاظ والتحفة اللطيفة وأعيان الشيعة.].

«هذا هو نهجهم رضي الله عنهم وأرضـاهم وعلـيهم السـلام. ومـن وجد في نفسه دعوى محبةٍ للعترة المطهّرة ثم لا يجدُ أدباً مع الصـحابة، أم وجد في نفسه محبة للصحابة وادِّعاءً أنّه يتّبع الصحابة: فقـد رأيـتُم حال الصحابة ومحبّتهم لآل بيت سـيّدنا محمـد ﷺ. قـالوا: مـن هـي الفرقة الناجية؟ قال: (**الَّذِين يَكُونُونَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِـي**).

«هو الذي قال (**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**) هو الذي قال (**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَداً: كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي! أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي! أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي!**) [رواه مسلم وأصحاب السنن.] وفي زيادة الترمذي: (**وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**) [رواه الترمذي دون لفظ **إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ** وهو في مسند الإمام أحمد.]. **مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَداً!!** النبي ﷺ يعطي ضمان بعدم الضلال كما جاء في مسلم وفي أبي داود وفي الترمذي وفي ابن ماجه وفي الحاكم وفي البيهقي وفي أحاديث بلّغها بعض المشتغلين بالحديث من المتأخرين إلى حد التواتر. **وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي**: من أراد أن يسلم من الضلال: فعليه بالقرآن والآل! من أراد أن ينجو فعليه برسول الله وأصحابه!

«ومَن فقُه هذا المعنى، استسلمت نفسه وتركت حظوظها، وأقبلت على رسول الله مُحِبَّةً لكل ما اتصل برسول الله ﷺ. مُحِبَّةً لآله. مُحِبَّةً لأصحابه. ما حصل بين الأصحاب والآل من خلاف، يحصَل بين الكل خلاف. حتى بين الآل والآل حصل خلاف؛ وبين الأصحاب والأصحاب حصل خلاف؛ ولا نعتقد العصمة في هؤلاء ولا في هؤلاء؛ ولكن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد عصمه ﷺ فيهم.

«هذا المعنى الذي ينبغي أن نفقه. ولهذا لما حصل خلافٌ بين الإمام الحسين رضي الله عنه وأرضاه، وبين أخيه لأبيه، سيدنا محمد بن الحنفية – حصل بينهما ما يحصل بين الإخوان من الجفوة – فكتب رسالة إلى الإمام الحسين، يقول: (يا أبا عبد الله، إذا جاءك قرطاسي هذا وأنت قائمٌ فلا تقعد؛ وإذا جاءك وأنت قاعدٌ فقم واتني، وأصلِح فيما بيني وبينك حتى لا أسبقُكَ إلى هذا الفضل. فإنّك ابنُ فاطمةَ بنتِ محمد، وأنا ابن فاطمة من بني حنيفة.) هذا منهج أهل البيت والصحابة. هذه طريقتهم. هذا مسلكهم. هذا ديدنهم. هذا حالهم. من أراد صدق المحبة: هذه الطريق أمامك. فقام فذهب وزاره وأصلح فيما بينه وبين أخيه.

«فصار معنى الارتقاء: أن تبحث كيف تُذِل أنت نفسَك – من إجل الله عز وجل – لأهل الإيمان. ليس معنى الارتقاء أن تسيء الأدب على أهل الإيمان. يقول ﷺ: (اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي! اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي! لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي! فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ! وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ! وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي! وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ! وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ!). الترمذي وأحمد. الحبيب يقول هذا الكلام؛ ما له منزِلة عندك؟؟ ما له قَدْر في قلبك؟؟ ما له حُرمة؟؟ رجل من أهل الدنيا الفانية هذه، لو أَلِف أناسٌ صحبتَه

ومجالسته، لا يقبل أن يُسيء إليهم أحدٌ، فكيف بسيدنا محمد؟ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: (ما هناك أعز عليّ من جليسي، وجِلتُ ألا يقع عليه الذباب.) ورأيت سيّد الأحباب ﷺ أقل مروؤة منه؟؟ ما استقَوا المروؤة إلا من حضرته صلى الله وسلّم عليه وعلى آله.

«مِن هذا المعنى ندخل إلى مسلك الأدب. هؤلاء أولاد النبي؛ من أنت؟ هؤلاء أصحاب النبي؛ من أنت؟ هؤلاء لهم نسبة صحبة وهؤلاء لهم نسبة قرابة؛ أنت، قل لي: ما نسبتك إليه؟؟ أين الطاعة، أين الاتّباع، أين المحبّة؟ إن كان هناك من ينبغي أن يحاسَب، حاسِب نفسك. أن كان هناك من ينبغي أن يُنتَقَد، انتقِد نفسك، انتقد حالك! واعرف عظيم الأدب مع أهل المحبوبيّة لدى الله سبحانه وتعالى! واستشعر وأنت في هذا الحال، في هذا الشأن: معنىً من معاني هبوب هذا الموسم عليك.» اهـ. كلام الحبيب علي بمناسبة الاحتفال بمولد سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه في مصر.

فانظر يا أخي الكريم ما أعذب كلام الملوك ملوك الكلام، فنِعْمَ الاعتقادُ عقيدة أهل السنّة والجماعة ونعم الانتساب مودّةُ العِترة والصحابة فوق حب كل شيء وفوق حب النفس من أجل الله تعالى ورسوله، وطرد البغض والجهل وكل ما لا يليق بعظيم شأن حضرة

حبيبك المصطفى ﷺ! اللهم أنت مقصودنا ورضاك مطلوبنا، اللهم حققه لنا ولا تخيّب رجاءنا ولا تؤاخذنا بتقصيرنا! وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وكرّم أبداً آمين.

بناء المساجد على القبور فعله السلف الصالح وزيارتها مشروعة

قال المعترض هداه الله: (واطلعت على فتواه في بناء المساجد على القبور وتعظيم القبور وشد الرحال إليها وأن حديث الرسول ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يؤوله على أنه السجود على القبر وكلامه هذا غير صحيح ومخالف لما عليه المذاهب المعتمدة.)

فينتقد المعترض كلامَ الشيخ علي بعد أن أبهمه، كأن انتقاده مسلَّم وكلام الشيخ علي لا يستحقّ أن يُذكَر بدقّة. وعلى كل حال قد مضى الحكم على تلك المسائل في كتب الفقه على المذاهب الأربعة. والمخالفون المتساهلون في التشدد معروفون، لا فائدة في مجادلتهم. لكن نتعجب أن أحد من أهل الله وخاصّته في الشام التي هي عقر دار الإيمان ومغرس عماد الدين والعقيدة الصحيحة، أن يسمح لنفسه أن يتأتّى بآراء شاذة مبتدعة قد تنزّهت مدارس الشام ومعاهدها الإسلامية ومشايخها خلفاً عن سلف من التلوّث باعتناقها، وقد مضى الرد الحاسم القاضي عليها بفضل الله، على لسان كبار علمائها وأوليائها رحمهم الله تعالى وجزاهم عن الأمّة خير الجزاء.

أما بناء المساجد على القبور فتوسعة مسجد الرسول ﷺ بجوار قبره الشريف حصلت في القرون المفضَّلة، ثم أتى خامس الخلفاء

الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز فأقرها، كما فعل سلف وخلف الأمة الصالحون قبله وبعده رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وقد يقال إن القبر الشريف هو أشرف بقعة من بقاع الأرض والسماوات السبع حتى الكعبة والعرش، كما نص عليه الإجماع المنقول في (الشفا) وشروحه، و(شرح صحيح مسلم) للنووي، و(مجموعه)، وابن القيم في (بدائع الفوائد) نقلاً عن ابن عقيل الحنبلي، وابن عابدين في (الحاشية)، وغيرهم. وهذا حق، لكن لا يكوّن تخصيصاً لجواز الصلاة في مسجده ﷺ. والمساجد التي فيها أو بجوارها قبر لولي أو عالم فاضل لا تكاد تحصى في العالم الإسلامي من أوله إلى عصرنا هذا، والأمة لا تجمع على ضلالة.

عمارة القبور جائزة لخواصّ الأولياء والعلماء وأهل البيت

أما عمارة القبور الذي عبّر عنها المعترض بعبارة (تعظيم القبور)، فهي داخلة في القاعدة المقررة فيما اختُلف فيه: راجع متن (تنوير الأبصار) و(الدر المختار) في الفقه الحنفي وحواشي الطحطاوي وابن عابدين و(تقريرات) الرافعي الحنفي. وكذلك في المذاهب الأخرى، عليه خلاف كثير. وقد نص الصنعاني على كراهة البناء على القبور كراهة تنزيهية كما في (سبل السلام). لكن أباحه العلماء فيما يخص قبور الأولياء والعلماء وأهل البيت، لا لتعظيم القبر لكن لتعظيم الدين كما أفاده القاري في (المرقاة)، والشيخ عبد الحق الدهلوي في (شرح سفر السعادة)، وصاحب (تفسير روح البيان) في شرح سورة الكهف، والشيخ عبد الغني النابلسي في (كشف النور عن أصحاب القبور).

وحديث سيّدنا علي كرّم الله وجهه في هدم القبور المعظّمة في الصحيحين: محمول على ما كانوا يفعلونه من تعلية القبور بالبناء الحسن العالي، كما قال ابن الجوزي رحمه الله في (التحقيق في أحاديث الخلاف). ذكره الزيلعي في (نصب الراية).

شدّ الرّحال لزيارة القبور للدعاء والتبرّك والتوسّل سنّة عند السلف والخلف

أما شد الرحال، فقد شد سيّدنا بلال الرّحل بعد ما كان قد تحـوّل إلى الشام، فسافر إلى المدينة المنوّرة لزيـارة القـبر الشريـف كـما رواه ابـن عسـاكر في (تاريخـه) ج٧ ص ١٣٦ ط دار الفكـر بإسـناد حسّـنه الشوكاني في نيل الأوطار – آخر كتاب الحج – مع اسـتنكاره السـفر بقصد الدعاء عند القبر في رسالة (الدر النضـيد)! وفيـه: (فـأتى قـبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه.)

وشدَّ الرّحل الإمام الحافظ زين الدين العراقي لزيارة قبر الخليل عليه السلام، ذكره ابنه الحافظ ولي الدين العراقي في (طرح التثريب) ج ٦ ص ٤٣ باب النذر في الكلام على حديث لا تشد الرحال قال: (وكان والدي رحمه الله يحكى أنه كان معادلاً للشيخ زين الدين عبد الـرحيم ابن رجب الحنبلي في التوجه إلى بلد الخليل عليه السلام؛ فلما دنـا مـن البلد قال: «نويتُ الصلاة في مسجد الخليل» ليحترز عن شد الرّحـل لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية. قال: فقلت: «نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام»؛ ثم قلت له: أما أنت فقد خالفت النبـي ﷺ لأنه قال **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**، وقد شددت الرحـل

إلى مسجدٍ رابع. وأما أنا فاتبعت النبي ﷺ لأنه قال: **زُورُوا الْقُبُـورَ**. أفقال: إلا قبور الأنبياء؟ قال: فبُهِتَ.) اهـ.

وقال ياقوت الحموي في (معجم البلدان): (باب التبن: بلفظ التبن الذي تأكله الدواب اسم محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر وهي الآن خراب صحراء يزرع فيها. وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنه، دفن هناك بوصية منه. وذاك أنه قال: قد صح عندي أن بالقطيعة نبيا مدفونا، ولأن أكون في جوار نبي أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي.) وذكره ابن رجب في كتاب (أهوال القبور). فما النفع من هذا الضريح النبوي الذي قصده لنفسه – وبعد الموت! – المقدَّم في الفقه والرواية من أبناء الإمام أحمد؟ أم هو شرك بالله تعالى وبدعة قبورية و...؟

زيارة قبره ﷺ من القُرُبات إجماعاً وأول من خرَقه أحمد بن تيمية

نص الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في (سير أعلام النبلاء) على السفر لزيارة قبر الرسول ﷺ بأنه من أفضل القربات تبعاً للإجماع وردّاً على من ابتدع تفسيق من يسافر لزيارته ﷺ أي شيخه أحمد بن تيمية الحرّاني.

وكذا يُفهَم أيضاً من كلام الحافظ العز ابن جماعة الدمشقي ثم المصري في مناسكه على المذاهب الأربعة (هداية السالك)، بعد ذكره قصة الأعرابي الزائر قبر الرسول متوسلاً به ﷺ: قال ابن جماعة: (وشتان بين هذا الأعرابي وبين من أضلّه الله فحرّم السفر إلى زيارته ﷺ، وهو من أعظم القربات كما قدمناه). اهـ.

وقد صرّح به الحافظ ولي الدين العراقي أول كلامه في (طرح التثريب) المذكور أعلاه، قال: (وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام بشع عجيب، يتضمن منع شد الرحال للزيارة وأنه ليست من القرب بل بضد ذلك، وردّ عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين. وكان والدي رحمه الله يحكى... الخ.)

وقال العارف النابلسي في (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) ص ٣٤- ٣٦: (لا تَعَرُّضَ في هذه الأحاديث – يعني حديث لا تشد الرّحال على اختلاف ألفاظها – إلى زيارة الأنبياء أو الأولياء أو غير ذلك.... فمن جعل شدّ الرّحال لزيارة الصالحين معصية ورتّب على ذلك عدم جواز الرّخصة له في السفر على مذهبه، فهو مخطئ الخطأ الفاحش.) ثم ذكر قول الإمام البابَرْتي في شرحه على مشارق الأنوار للصغاني (وليس للقاضي عياض كما توهّم محقق الكتاب) إلى أن ذكر قوله: (وبه يبطل قول من قال إن شدّ الرّحال إلى زيارة النبي ﷺ وإلى زيارة خليل الرّحمن عليه السلام وغيرهما من الأنبياء والأولياء والصالحين حرام، نعوذ بالله تعالى من الزّيغ بعد الهدى.) اهـ.

قال الشيخ أحمد زروق المالكي رحمه الله في مقدمة شرحه على حزب البحر: (ابن تيمية رجل مسلم له باب الحفظ والاتقان مطعون عليه في عقائد الإيمان) إلى أن قال: (ومقتضى ذلك أن يُعتبَر بنقله لا بتصرّفه في العلم.)

قال القاضي يوسف النبهاني رحمه الله تعالى آخر كتابه الحافل (شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق ﷺ) بعد نقله كلام الشيخ زرّوق ما نصه:

(قوله «يعتبر بنقله» هو مقيَّد فيما عدا ما يَستشهِد به من النقول لتأييد بِدَعِه التي خالف بها جمهور أئمة المسلمين ولا سيما فيما يتعلق بالسفر لزيارة سيد المرسلين والاستغاثة به وبسائر الأنبياء والصالحين، فنُقوله في ذلك لا تُعتبَر، إلا إذا وافقه عليها العلماء الموثوق بهم كما تقرر، ويدل عليه كلام الحافظ العراقي الشافعي، والإمام الزرقاني المالكي، والشهاب الخفاجي الحنفي المذكور في هذا الكتاب فضلا عن كلام الإمامين السبكي وابن حجر الهيتمي وغيرهما، والله أعلم.)

وحكم زيارة القبر الشريف عند السادة الحنابلة ما ذكره الإمام موفّق الدين بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الصالحي طيّب ثراه في (المقنع) ١/ ٤٦٦: (فإذا فرغ من الحج استُحِب له زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما.) ومثله في (المغني) ٥/ ٤٦٥ و(الكافي) ١/ ٦١٩ له. وقال مثل ذلك برهان الدين ابن مفلح في (المبدع)، وشمس الدين ابن مفلح في (الفروع)، والبهوتي في (الروض المربع) و(كشاف القناع)، والحجاوي في (الإقناع)، وعبد الرحمن البعلي في (كشف المخدرات)، ومرعي بن يوسف في (غاية المنتهى) و(دليل الطالب)، وابن النجار، وابن الجوزي، والكَلْوَذاني، وغيرهم، بل قال عون الدين ابن هبيرة في (الإفصاح) ١/ ٢٩٧: (اتفقوا على استحباب زيارة المصطفى ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر المدفونين معه، وندبوا إليه.)

شرح (لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً)
وتخريج (مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي)

قال الحافظ السخاوي في كتابه الحافل (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ﷺ) ما نصه:

(وهذه فوائد نختم فيها الباب الرابع: الفائدة الخامسة: قال صاحب «سلاح المؤمن»: قوله عليه الصلاة والسلام: «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً**»: يحتمل أن يكون المراد الحَثَّ على كثرة زيارته، ولا يُجعل كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين. ويؤيد هذا قوله: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً**» أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التي لا يُصلَّى فيها. انتهى. ... وذكر بعض شراح المصابيح ما نصه: في الكلام حذفٌ، تقديره: لا تجعلوا زيارة قبري عيداً، ومعناه النهيُ عن الاجتماع لزيارته عليه الصلاة والسلام اجتماعَهم للعيد، وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب، فنهى النبي ﷺ أمته عن ذلك، وقيل: يحتمل أن يكون نهيه عليه الصلاة والسلام لدفع المشقة عن أمّته، أو لكراهة أن يتجاوزوا في تعظيم قبره غاية التجاوز. قلتُ: والحثّ على زيارة قبره الشريف قد جاء في عدّة أحاديث لو لم يكن منها إلا وعدُ الصادق المصدوق ﷺ بوجوب الشفاعة وغير ذلك لزائره: لكان

كافياً في الدلالة على ذلك. وقد اتفق الأئمة مِن بعد وفاته ﷺ إلى زماننا هذا على أن ذلك من أفضل القُرُبات. وبالله التوفيق.)

يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: (**مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ – أو حَلَّتْ – لَهُ شَفَاعَتِي.**) رواه الدارقطني في سننه، وأبو داود الطيالسي في مسنده، والدولابي في (الكنى والأسماء)، وابن أبي الدنيا في (القبور)، والبزار في المسند، والخطيب في (تلخيص المتشابه)، وابن الدُبَيْثي في (الذيل على التاريخ)، والحكيم الترمذي في (نوادر الأصول)، وغيرهم. أما قول بعض المتأخرين ومقلّديه بأن (أحاديث الزيارة كلها ضعيفة بل موضوعة) فليس بسديد إذ حديث الباب صححه ابن السَّكَن وعبد الحق الإشبيلي في (الأحكام) وشيخ الإسلام التقي السُّبكي في (شفاء السِّقام) وقوّاه الحافظ ضياء الدين المقدسي في (فضائل الأعمال) والحافظ ابن حجر في (الإنارة بطرق حديث الزيارة) و(التلخيص الحبير) وتلميذه السخاوي في (القول البديع) والحافظ السمهودي في (وفا الوفا) والإمام اللَّكنوي في (الأجوبة الفاضلة) وحواشي (ظَفْر الأماني) وشرح موطأ الإمام محمد، والحافظ الغسّاني إذ لم يترجم له في كتابه (تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني). وله عدّة شواهد.

حديث (اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) شرحٌ سنّي وشرحٌ بِدْعي

قال المعترض هداه الله: (وحديث رسول الله ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يؤوله الجفري على أنه السجود على القبر وكلامه هذا غير صحيح ومخالف لما عليه المذاهب المعتمدة.)

أما حديث الصحيحين: (**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) فمفهوم الحبيب علي الجفري له (على أنه السجود على القبر) على حد تعبير منتقده: هذا هو مفهوم أهل السنّة للحديث: «إلى القبر، وفي المقبرة، وعلى القبر» كما روي عن سيدنا علي كرّم الله وجهه.

قال الإمام الهيتمي في (الزواجر عن اقتراف الكبائر): (قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبرّكاً وإعظاماً. فاشترطوا شيئين: أن يكون قبر معظّم وأن يقصد بالصلاة إليها، ومثلها الصلاة عليه، التبرّك والإعظام.)

وقال ابن عبد البر في التمهيد: (في هذا الحديث إباحة الدعاء على أهل الكفر وتحريم السجود على قبور الأنبياء. وفي معنى هذا أنـــــه

لا يحل السجود لغير الله عز وجل، ويحتمل الحديث أن لا تجعل قبور الأنبياء قبلة يصلى إليها.) وعلى هذا المعنى حمله ابن قدامة في (المغني) والزرقاني في (شرح الموطأ): قالا: أي اتخذوها جهة قبلتهم. وأشار السخاوي إلى هذه المعاني في (القول البديع) كما سبق ذكره.

وقال البيضاوي في التفسير: (لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، اتخذوها أوثانا، لعنهم ومنع المسلمين من ذلك. وأما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا لتعظيم له ولا لتوجه نحوه، فلا يدخل في ذلك الوعيد.)

أفلا يرضى المعترض أن يمثّل هؤلاء المذاهبَ المعتمدة؟ إذَن اتضح بلا لبس أن قول الحبيب علي في معنى حديث (**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)، ليس تأويلاً بل شرحاً مأثوراً حسناً.

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى فقد خالف مفهوم السلف وحمل الحديث على معنى الجوار – ولو كان مع وجود سترة أو حاجز – وليس فقط السجود إلى القبر أو عليه كما فهمه السلف، كما في كتابه المسمى (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد). لذا ترى المنتسبين إليه من الناس لا يصلون في مسجد فيه قبر، كالحرم النبوي أو

الأموي مثلا، وإن علموا أن الصحابة الكرام صلّوا فيهما وفي غيرها من المساجد القديمة المباركة كمسجد الخَيْف الذي قال فيه الرسول ﷺ: (**فِي مَسْجِدِ الـْخَيْفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيّاً**). فأكْفَرَ الشيخُ النجديُّ وأكفَرَ مقلّدوه عامّةَ المسلمين، وربما أدخلوا في تكفيرهم عطاءً القائل لابن جريج: (**لا تصلِّ وبينك وبين القبلة قبر، فإن كان بينك وبينه سترة ذراع، فَصَلِّ.**) ذكره صاحب المحلَّى. والله المستعان.

لمس القبر وتقبيله محبةً لصاحبه وتبركاً به
يجوز عند الإمام أحمد بل يستحب

قال المعترض هداه الله: (وكان بعض مشايخه يستلم القبر ويسجد عليه وقد رأيت هذا بعيني في الكومبيوتر).

والشرع الشريف يكذّبك بكلامك المتناقض (بعيني في الكومبيوتر)، فعِرْضُ المسلم أعز من أن يُهتَك بما تراه العين أو تسمعه الأذن بطريق آلة إلكترونية إلا بعد التحقيق والتدقيق، لأنها أسهل الوسائل لتركيب الكذب بصورة الصدق. ولو أتى القاذف مثلاً بشريط فيديو وصوت وصورة، ما وسعه إلا أن يؤيّد تهمتَه ثلاثةُ شهود عيان وإلا جُلِد. فكيف لو كان مستندُ التهمة: لا فيديو ولا صوت ولا صورة، بل مجرَّد تقوّل من أفّاك لم يوقَ شرَّ لَقْلَقِهِ، وجَبَان لا يُعرف من هو؟ مع أن زعم سجود شيخ السيد علي الجفري على القبر: يردّه ما نقلتَه عنه أنت آنفاً، أنه (يُؤَوِّل) حديث اتخذوا قبور أنبيائهم على السجود على القبر؛ أي يلعن فاعله، فكيف يرضى بفعله أو يرضى به شيخُه؟؟

وقد صرّح الشيخ علي الجفري ببيان وقّعه بيده قال فيه: (وأقول أنني أبرأ إلى الله مما نُسب إليّ أو إلى أي من أشياخي من أمر السجود على القبر). والمعترض أُعلم به، ومع ذلك بَقِيَ لم يتراجع من تهمه التي

تبنّاها أعداء الحق ليضللوا الحبيب الجفري كما لم يبرِّءِ الحبيبَ مما سماه (أخطاءه) بل قال: «فأنا لا أعدّ موقع فلان مضلِّلاً [أي موقع الوهابية على الإنترنت]، ولا أبرّئ الجفري من أخطائه»! الحمد لله... تفرُّدُك عليه زاده تزكيةً.

ثم السجود المزعوم قد لا يكون سجوداً لكن يشبه السجود، كالإنحناء لتقبيل اليد أو الرِّجْل توقيراً لذوي الفضل في الدين أو الأبوين. فالناظر مِن بُعدٍ، أو مَن ليس له خبرة ببعض ما يعتري صاحب حال، قد يسيء الظن ويتسرّع بالإنكار، كما روى أحمد والحاكم وصححه، وأورده المجد بن تيمية في منتقاه وشيخ الإسلام التقي السبكي في (شفاء السقام) عن داود بن أبي صالح قال:

(أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر. فأخذ برقبته وقال أتدري ما تصنع؟ قال نعم! فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه. فقال: جئتُ رسول الله ﷺ ولم آت الحجر! سمعت رسول الله ﷺ يقول: **لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، وَلَكِنِ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَه غَيْرُ أَهْلِهِ.**) وروي الإمام الذهبي في (السِيَر) هذا الفعل عن التابعي الجليل محمد بن المنكدر أيضاً، قال عنه سفيان بن عيينة: كان من معادن الصدق.

ولشيخ الحبيب علي: الإمام الداعية الولي الصالح الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد الحضرمي ثم الكينيائي دفين مكة المكرّمة رحمه الله تعالى: له ردٌّ لطيف في كتابه (مفتاح الجنّة) على من اعترض على التقبيل بحجة فاسدة أنه عبادة فليُراجَع.

ولله در الإمام الذهبي رحمه الله، القائل في (سير أعلام النبلاء) في ترجمة الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: (من زاره – صلوات الله عليه – وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر، أو فعل ما لايشرع، فهذا فَعَلَ حَسناً وسيئاً، فيُعَلَّمُ بِرِفْقٍ، والله غفور رحيم! فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم، والصياح، وتقبيل الجدران، وكثرة البكاء، إلا وهو محب لله ولرسوله. فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار.)

وفي معجمه الكبير للشيوخ (ج١ ص٧٣ ط السعودية) في ترجمة شيخه القزويني ركن الدين أبو العباس أحمد بن عبد المنعم يقول الذهبي: أخبرنا أحمد بن المنعم بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كره استلام قبر النبي ﷺ. ثم قال الذهبي: (إنما كرهه لأنه رآه من ترك الأدب. سئل أحمد بن حنبل عمّن استلم قبر النبي ﷺ وقبّله فلم يرَ به بأساً، رواه عنه ابنه عبد الله.)

وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال ج ٢ ص ٤٩٢: (قال الإمام عبد الله بن الإمام أحمد: سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا، يريد بذلك التقرب إلى الله جل وعز؟ فقال: لا بأس بذلك.)

ويقول الذهبي في سيرة الإمام أحمد في باب آدابه رضي الله عنه من سير أعلام النبلاء (٢١٢/١١ ط الرسالة أو ٩/ ٤٥٧ ط الفكر): (ومن آدابه: قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرةً من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه يقبّلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه، يستشفي به. ورأيته أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جب الماء، ثم شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه. قلت – أي الذهبي: أين المتنطّع المنكِر على أحمد؟! وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي ﷺ، ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأسا. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع!) اهـ.

اللهم ارزقنا حسن الفهم والمحبّة والاتّباع، آمين!

وقال برهان الدين ابن مفلح في (المبدع) في فروع الحنابلة ٢/ ٢٨١: (يستحب للزائر أن يقف أمام القبر... وينبغي قربه كزيارته في حياته،

ويجوز لمس القبر باليد، وعنه – أي الإمام أحمد – يكره، لأن القُرَبَ تُتَلَقَّى من التوقيف، ولم ترد به سنّة، وعنه يستحب، صححها أبو الحسين – وهو ابن أبي يعلى – لأنه يشبه مصافحة الحي، ولا سيما ممن ترجى بركته.) والعبارة في (الفروع) (٢/ ٣٠٠) للشمس ابن مفلح.
وقال مَرعي بن يوسف الكَرمي في (غاية المنتهى) ١/ ٢٥٩: (ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من ترجى بركته.)

ولبعض المالكية:

وَلَمْسُ قَبْرٍ وَمِنْبَرٍ وَضَرِيحٍ جَازَ إِلَّا سُجُودُهُمْ عَلَى الْجِبَاهِ
فَذَاكَ الْكُفْرُ مِنْ غَيْرِ اشْتِبَاهِ

وتقبيل قبر الأبوين: مباح عند الحنفية كما في (الفتاوى الهندية) – وهو معتمد في ديارهم – باب الكراهية وشرح المشكاة للشيخ عبد الغني الدهلوي المسمى بـ(أشعّة اللمعات) باب الدفن. والإمام النووي شبّه مشايخ الرجل بآبائه بالروح في كتابه (التقريب والتيسير) فهم أولى بالمحبة والاحترام. والله تعالى أعلم.

كرامات الأولياء حق ومنهم سيدنا علي كرم الله وجهه

قال المعترض هداه الله: (كما أني اطلعت على أمور عجيبة منها ادعاؤه أن الإمام علياً كان يعيد للناس الأعضاء المقطوعة منهم).

نعم، ذكر هذه الكرامة له كرّم الله وجهه الفخرُ الرازي في تفسيره، وأوردها النبهاني رحمهما الله تعالى في (جامع كرامات الأولياء)، باب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال:

(يروى أن واحداً من محبيه سرق، وكان عبداً أسوداً، فأتي به إلى علي، فقال له: أسرقت؟ قال نعم، فقطع يده، فانصرف من عنده فلقيه سلمان الفارسي وابن الكواء، فقال ابن الكواء: من قطع يدك؟ فقال أمير المؤمنين، ويعسوب المسلمين، وختن الرسول، وزوج البتول. فقال: قطع يدك وتمدحه؟ فقال: ولم لا أمدحه، وقد قطع يدي بحق، وخلصني من النار؟ فسمع سلمان ذلك فأخبر به علياً، فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل، ودعا بدعوات، فسمعنا صوتاً من السماء: ارفع الرداء عن اليد، فرفعناه فإذا اليد قد برأت بإذن الله تعالى وجميل صنعه.) وفي بعض الكتب زيادة نسبت إليه رضي الله عنه: (ألم أقل لك يا ابن الكوا؟ إن لنا محبين لو قطعناهم إربا

إربا ما ازدادوا لنا إلا حبا، ولنا مبغضين لو ألعقنا لهم العسل ما ازدادوا لنا إلا بغضا.)

وهناك قصة أخرى بتبرئة رجل كان جف شقه الأيمن فدعا له سيدنا علي بعد أن صلى ركعات ثم قال له (يا مبارك قُمْ)، فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان، ثم قال له سيدنا علي: لولا أنك حلفت أن أباك رضي عنك ما دعوتُ لك. ذكره ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى).

وما المانع عقلاً أو شرعاً، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يعيد للناس الأعضاء المقطوعة منهم كقتادة بن النعمان الذي سالت حدقته على وجنته يوم بدر فرد إليه الرسول ﷺ عينه وبرئ بل كانت أصح عينيه؛ ولأبي ذر أيضاً ورفاعة بن رافع بن مالك وعلي وعبدالله بن عتيك رضي الله عنهم. واعتمد إمام الحرمين في (الإرشاد) – فصل: في إثبات الكرامات وتمييزها من المعجزات – القول بأن كل معجزة نبي تجوز لأتباعه كرامة. قال: والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات. اهـ.

وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة. قال ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى):

(اعلم أولا أن كل كرامة ظهرت على يد صحابي أو ولي، أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، فإنها معجزة للنبي ﷺ، لأن صاحبها إنما نالها بالاقتداء به ﷺ، وهو معترف له بأنه مقدّم خليقة الله، وصفوتهم، وسيّد البشر الذي مِن بحره تُستخرج الدرر، ومن غيثه يُستنزل المطر. وهذا المعنى يصلح أن يكون سبباً إجماعياً عاماً في الإظهار، لا سيما في عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فإن الكفار إذا رأوا ما يظهر على يديهم من الخوارق آمنوا بنبيّهم ﷺ وعلموا أنه على الحق، فربما كان هذا سببا في الإظهار.) اهـ.

وكرامات الأولياء حق واجب الاعتقاد في عقيدة المسلم كما ذكره سلف الأمة وخلفها كالإمام أبي جعفر الطحاوي في رسالة اعتقاد أبي حنيفة وأصحابه (العقيدة الطحاوية) وصاحب (حاشية رد المحتار) آخر باب المرتدّ من كتاب الإيمان وغيرهما. وفي الجوهرة:

وأَثبِتَنْ للأوليا الكرامهْ   ومَن نفاها فانْبِذَنْ كلامَهْ.

حياة الأنبياء في قبورهم واطلاعه ﷺ على أحوالنا ثابت بل قطعي الثبوت

قال المعترض هداه الله: (وأن النبي ﷺ حيّ في قبره يطّلع علينا ونقصده في الحاجات).

نعم، اعتقاد أهل السّنّة والجماعة: أن الأنبياء أحياء حياة حقيقية كاملة في قبورهم فوق حياة عامة المؤمنين البرزخية، نص الإمام السيوطي على تواتره في (مرقاة الصعود شرح سنن أبي داود) له وفي فتوى (إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء) حيث قال: (حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت الأخبار).

وقال شيخ الإسلام التقي السبكي: (ولا يلزم من كون حياتهم حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخر.) ذكره السيوطي في (زهر الربى على المجتبى) بهامش سنن النسائي الصغرى.

وقال ابن القيم في كتاب الروح: (ومعلوم بالضرورة أن جسده ﷺ في الأرض طريٌ مطرى.) ونقل عن الإمام القرطبي أنه قال: (صح عن النبي ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء خصوصاً بموسى، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم.) اهـ.

وقال الإمام القشيري في رسالة (شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة) التي ألّفها للذبّ عن أهل السنة ضد المتفيقهين بالزور والحسد والبدعة آنذاك:

(وعندهم – أي الأشاعرةُ أهلُ السنة – محمد ﷺ حى فى قبره. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ آل عمران. فأخبر – سبحانه – بأن الشهداء أحياء عند ربهم، والأنبياء أولى بذلك لتقاصر رتبة الشهيد عن درجة النبوة. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ

وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النســـاء. فرتبة الشهداء ثالث درجة النبوة. ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بها تدل الشهادة على هذه الجملة. فمن ذلك: ما أخبرنا به ... عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ **إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ.**) رواهَ النسائي والدارمي وأحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي في السنن والشعب وصُحِّحَ.

ثم قال الإمام القشيري: (ولا يُبَلَّغ السلام إلا ويكون حياً. وأخبرنا ... عن أنس بن مالك ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمُوتُ فَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ إِلَّا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً حَتَّى تُرَدُّ إِلَيْهِ رُوحُهُ.**) حسّنه السيوطي في اللآلىء ومال إلى تحسينه الحافظ في الفتح والتلخيص الحبير. ثم قال:

(وأخبرنا ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ.**) رواه أبو داود وأحمد وصححه البيهقي والنووي وابن القيم والحافظ وغيرهم. قال الحافظ السخاوي في (القول البديع): (قال شيخ الإسلام أبو الحسن السُّبكي في (شفاء السِّقام) له: اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، وهو اعتمادٌ

صحيح، لأن الزائر إذا سلّم وقع الردُّ عليه عن قرب، وتلك فضيلة مطلوبة. يسّرها الله لنا، عوداً على بدء.) اهـ آمين!

ثم قال الإمام القشيري: (دل الخبر على أن الميت لا يعلم حتى ترد إليه الروح، ودل على أن النبى ﷺ حى فى قبره. وأخبرنا ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِياً أُبْلِغْتُهُ.**) رواه أبو الشيخ في كتاب (ثواب الصلاة على النبي ﷺ) بلفظ **وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ بَعِيدٍ أُعْلِمْتُهُ.** جوّد الحافظ إسناده في الفتح وأقره السخاوي والسيوطي وابن عَرَّاق والشوكاني والشيخ عبدالله سراج الدين وغيرهم واستغربه ابن القيم في (جلاء الخاطر). أما لفظ **أُبْلِغْتُهُ** فرواه البيهقي في الشعب. ومن الناس من تفوّه بقوله (لم أجد دليلاً على سماعه ﷺ سلامَ من سلّم عليه عند قبره)! كذا بحروفه في تعليقات ناصر الألباني على كتاب (الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات) لنعمان الألوسي ص ٨٠ ط المكتب الإسلامي. بل سماعه السلام ﷺ من قريب أو بعيد فعند ذوي النُّهى متواتر. ثم قال الإمام القشيري:

(وأخبرنا ... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ.**) رواه مسلم والنسائي وأحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبة وعبد بن

حميد في مسنده وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما. وفي رواية هَدَّابٍ **مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى**. ثم ساق حديث المعراج وقال:

(فدل هذا الخبر على أنهم – عليهم السلام – أحياء. ولقد روى الحسن بن قتيبة المدائنى ... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**.) رواه أبو يعلى في مسنده بإسناد ثقات كما في المجمع، والبيهقي في الرسالة الأشعرية وكتاب حياة الأنبياء، وصحح إسناده الحافظ في الفتح والزرقاني في شرح الموطأ والسيوطي في (إنباء الأذكياء).

قال شيخ الإسلام ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ ص٣٨٤: (ومن عقائدنا أن الأنبياء عليهم السلام أحياء فى قبورهم.) وقال الحافظ في (الفتح) ج٧ ص٢٩: (حياته ﷺ في القبر لايعقبها موت بل يستمر حياً، والأنبياء أحياء في قبورهم.)

وقال ابن قيّم الجوزية رحمهم الله جميعا في كتاب (الروح) له ص ٤٤ ط العلمية أو ص ١٣٩ ط دار ابن كثير: (ومعلوم بالضرورة أن جسده ﷺ في الأرض طريٌّ مطرى، وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ؟ فقال: **إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**.) ولفظه:

عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَام، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ!** قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرَمْتَ؟ أَيْ يَقُولُونَ: قَدْ بَلِيتَ. قَالَ: **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلَام**. رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه والدارمي في سننهم وأحمد في المسند وابن خزيمة وابن حبان والحاكم على شرط مسلم في صحاحهم.

فهذا الحديث صريح بأن أجساد الأنبياء تبقى بعد الموت على حالتها التي كانت عليها قبل قبض أرواحهم الزكية، إضافة إلى إثبات الأحاديث المارّة ذكرها حياتَهم بعد الموت وحياتهم في القبر حياةً كاملةً دائمة، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والتسليم.

وهناك أدلة أخرى على حياة الأنبياء في قبورهم كثيرة، راجع إن شئت: (حياة الأنبياء في قبورهم) للإمام البيهقي وكتاب الروح المذكورَين و(شرح الصدور) للسيوطي وفتاويه وباب النبوات من كتاب السيد محمد بن علوي (منهج السلف في فهم النصوص)، وإليك بعض كلامه فإنه مفيد جداً.

شرح اعتقاد حياة النبي ﷺ في البرزخ
لسيدي الشيخ محمد بن علوي المالكي

قال شيخ الإسلام في البلد الحرام السيد الشيخ محمد بن علوي المالكي رحمه الله في كتابه المسمى (منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق) الطبعة الثانية ص ١٢٩-١٣٣:

(كثيرا ما نسمع بعضهم يردد هذه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ الزمر وغيرها من الآيات الواردة في هذا المعنى ليستدل بها على نفي الكمالات البشرية والخصائص النبوية التي يتميز بها سيدنا محمد ﷺ عن سائر البرية، ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ الأنبياء. ومَن الذي ينكر هذه الآيات البينات؟ ومن الذي يزعم أن النبي ﷺ لا يزال حيا كما كان في الدنيا؟ لا شك أنه لا يقول بهذا إلا جاهل بليد الذهن، ليس عنده أدنى معرفة بالقرآن والسنة. ولكن هذا الذي يورد هذه الآيات فاته – إما قصدا أو جهلا – أن ينبه الناس إلى أن هذه الآيات جاءت لتبين أن سيدنا محمداً يجري عليه ما يجري على البشر من الموت، وأن الله هو الباقي الحي الذي لا يموت. لقد غاب عن ذهن هذا المعترض أن هذه الآيات الكريمة التي تعلن هذه الحقيقة المهمة – وهي أنه ﷺ بشر وأنه سيموت كما يموتون – إنما

جاءت لتصحيح مفهوم شائع وتصور باطل في العقول الجاهلية، حيث إنهم يربطون بين الكمالات الإنسانية والفضائل البشرية التي يتصف بها الرجل وبين الحياة، إذ يعتقدون أن الرجل إذا مات انتهى فضله وكماله، وماتت معه مزيته وصار لا قيمة له ولا فضيلة، بل مات وماتت معه فضائله وخصاله.

ومن هنا جاءت الآيات لتبين فساد هذا المعنى وبطلان ذلك التصور، جاءت لتقول لأبي جهل وأبي لهب وجماعة المشركين ومن على شاكلتهم، إن سيدنا محمداً بشر وليس بمخلّد على وجه الأرض، بل إنه سيجري عليه ما يجري على عامة البشر، ولكن هذا لا ينقص كمالاته ولا يؤثر على درجته ولا ينقص من مرتبته. فهو بشر ليس بمخلد، وسيأتي يوم يموت فيه، لأن الموت مكتوب على كل بشر، كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، ولكن هذا الموت لا يغير من مقامه وفضله، وكأنه يقول لهم: احذروا أن يقع في ذهن أحد منكم نقصان لمقامه ﷺ إذا مات، فيتصور الواحد منكم أنه لا ينفع ولا يفيد ولا يسمع، ولا يرد ولا يدعو ولا يشفع، هكذا جاءت هذه الآيات لتبين هذه الحقائق وذلك لأنهم كانوا ينكرون البعث والحساب، ويقول قائلهم: ما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر. وفي القرآن آيات كثيرة تبين مواقفهم هذه، وهي

تتضمن إنكارهم للحياة البرزخية وما يتبعها من نعيم القبر وعذابه، كقوله تعالى حكاية عنهم:

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الدخان.

وكقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ مريم.

وكقوله: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الجاثية.

وكقوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس.

ولذلك أعلن الصدّيق ﵁ هذه الحقيقة قائلاً: (مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ الخ...). وهنا يأتي بعض المخذولين ليستدل بهذه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وغيرها من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الدائرة في هذا الموضوع ليستدل بها على ما يريده من المقاصد الفاسدة والنوايا الخبيثة، وذلك ليصل إلى سلب الكمالات المحمدية وإثبات البشرية العادية التي يريد بها مساواة أشرف المرسلين بغيره من عامة الناس، وكم سمعنا وقرأنا لبعضهم فيما سود من صحائف، يقول فيها: إنه ﷺ لا يسمع ولا ينفع، بل بلغت الوقاحة وقلّ الأدب ببعضهم أن يقول: إنك لو جئت إلى قبر النبي ﷺ وطلبت منه أقل شيئ من أمور الدنيا (كدرهم أو كأس ماء) فإنه لا يقدر أن يعطيك ذلك!

أقول – القائل السيد محمد بن علوي المالكي رحمه الله: وما درى هذا القائل الكاتب الأحمق أن الذي يتوسل بالنبي ﷺ أو يطلبه شيئاً إنما يطلبه أن يسأل الله له ذلك لعظم مقامه وجاهه عند الله، وهو أيضا لا يطلب الأمور الحقيرة التي لا تقع إلا في أذهان عبيد الدنيا الحقيرة وطلب المال، الذين لا همّ لهم إلا السعي وراءها والتسابق والتنافس في جمعها، والذين أخبر عنهم المصطفى ﷺ بقوله (**تَعِسَ وانْتكَسَ**) رواه البخاري. وهو دعاء عليه بأن الله يتعسه وينكسه، وإخبار بأنه صار كذلك – والعياذ بالله – وحينئذ فالواجب على من أراد البحث العلمي المجرد عن الهوى والعصبية والتعنت وأراد أن يسلك مسلك أهل الحق، وهو أهل الأدب والذوق والمعرفة، الواجب على من كان كذلك أن يضمن كلامه ما يفيد:

- أن كمالات وخصائص النبي ﷺ باقية محفوظة لا شك فيها ولا ريب،
- وأنه ﷺ يسمع الكلام ويردّ السلام،
- وأنه ﷺ يحمد الله على ما يعرض عليه من خير أعمال أمته،
- وأنه ﷺ يستغفر الله لهم فيما يعرض عليه من شرور أعمالهم،
- وأن الأدب معه ﷺ في مقامه وزيارته والسلام عليه عند قبره وفي مسجده وروضته من أوجب الواجبات وآكد المطلوبات،

- وأن حرمته ﷺ ميتا كحرمته حيا، كما قال إمام دار الهجرة للخليفة العباسي،*

- وأنه ﷺ وإن كان قد مات وغاب عنا جسده بلا شك ولا ريب ولا يبقى إلا الواحد الأحد الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، لكنه ﷺ حيٌّ حياةً برزخية كاملة وهي (أي الحياة البرزخية) أشرف وأفضل وأكمل من الحياة الدنيوية، وأعلى وأغلى وأحلى وأكمل وأنفع منها، ويكفي فيها أن أصحابها موصوفون بثلاث صفات كمالية جليلة وعظيمة، وهي الحياة والرزق والعندية المعبر عنها بقوله تعالى جل جلاله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ آل عمران. وإذا كان هذا جاء في حق الشهداء، وهم أقل رتبة من الأنبياء، فكيف بهم عليهم الصلاة والسلام؟).

انتهى كلام شيخ الإسلام في البلد الحرام السيد محمد بن علوي المالكي من كتابه (منهج السلف في فهم النصوص) حفظه الله وجزاه خير الجزاء عن خير أمّة أخرجت للناس.

*الخبر فيه عبارة الإمام مالك (وهو ﷺ وسيلتك ووسيلة أبيك آدم)، رواه القاضي عياض في الشفا وترتيب المدارك وابن فِهر في فضائل مالك وابن قنفذ القسنطيني في كتاب (وسيلة الإسلام) وصحح إسناده الحافظ ابن بشكوال والحافظ العز بن جماعة في (هداية السالك) والحافظ الزرقاني في شرح المواهب والخفاجي في شرح الشفا وغيرهم، ويراجع تحقيق سنده في كتاب (محق التقوّل في مسألة التوسّل) للإمام الكوثري رحمهم الله تعالى.

تخريج ودرجة حديث
(حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ)

أما اطلاع الرسول ﷺ فواضح من قوله **فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** ويثبته أيضاً حديث:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ، حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ، إِسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ.**

رواه البزار وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح؛ وصحح إسناده خمسة من الحافظ: العراقي في (طرح التثريب)، والهيثمي، والقسطلاني في (المواهب)، والسيوطي في(الخصائص الكبرى) و(مناهل الصفا)، والزرقاني في (شرح الموطأ) و(شرح المواهب)، والعلّامة عبدالله الغُماري في كتابه (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال)، ومن تلاميذه: الأستاذان محمود سعيد ممدوح في (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة) وعبد الله التليدي في (تهذيبه للخصائص الكبرى) – ولو حقق الكتاب بكامله دون بتره لكان أفضل – وقال: على شرط مسلم. ورواه مرسلاً ابن

سعد، واسماعيل القاضي المالكي في (فضل الصلاة على النبي ﷺ)، والحارث في مسنده، جميعهم عن بكر ابن عبد الله المزني، صحح إسناده القاري في (شرح الشفا)، والسبكي في (شفاء السقام بزيارة خير الأنام ﷺ)، وغيرهم.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا**. قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: **وَبَعْدَ الْمَوْتِ! إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، فَنَبِيُّ الله حَيٌّ يُرْزَقُ**. رواه ابن ماجه وصححه البوصِيري، وفيه زيادة علَى حديث أوس المار ذكره.

وأخرج عبد الرزاق عن مجاهد بإسناد صحيح مرسلا قوله ﷺ (**إِنَّكُمْ تُعْرَضُونَ عَلَيَّ بِأَسْمَائِكُم وَسِيمَاكُمْ فَأَحْسِنُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ**.) ذكره الأستاذ العلامة القارئ المقرئ الفريد الآية الطبيب الدكتور محمد سامر النصّ الدمشقي حفظه الله في كتابه المبارك (الوسيلة إلى فهم حقيقة التوسّل) وهو أجمع وأتقن كتاب رأيناه في الباب. ثم قال:

(بل إن عرض الأعمال ليس خاصاً به ﷺ وآله بل يعمّ قرابة الإنسان كما ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند الإمام أحمد: (**إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ**

عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَإِنْ كَانَ خَيْراً اِسْتَبْشَرُوا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: اللهُمَّ لا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا.) وله شاهد يؤيده من حديث أبي أيوب رضي الله عنه عند الطبراني وحديث جابر رضي الله عنه عند الطيالسي. وروى البيهقي في (الدلائل) عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن عمر بن الخطاب ذُكِر له ما حمله على مقالته التي قال حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كُنْتُ أَتَأَوَّلُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة. فَوَاللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّهُ سَيَبْقَى فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهَا بِآخِرِ أَعْمَالِهَا وَإِنَّهُ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ.) وتأوُّله رضي الله عنه – وهو من أهل اللسان – صحيح وإن كان لا يستوجب بقاءه صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، ولكن تعرض عليه أعمالنا وبذا يكون شهيداً علينا.) اهـ.

وقال العلامة عبد الله الغُماري في الجزء الأول من (خواطره الدينية) ص ١٩: (قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ البقرة. يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره الشريف يحارب المرابين بالدعاء عليهم، أو بما يناسب حياته البرزخية، ولم أر من سبقني إلى هذا الاستنباط.) اهـ.

قصْدُنا نبيَّ الرحمة ﷺ لقضاء الحوائج

أما قصْد سيّدنا النبي ﷺ في الحاجات فهو القائل ﷺ: (**اللهُ المُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ**) وجعل فهم اسمه الشريف (**القاسم** ﷺ) من الفقه الأكبر العطائي الرباني، إذ طوى ذكره في حديث (**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**) كما في الموطأ والصحيحين والسنن، وهو حديث الطائفة المنصورة المشهور المتواتر. رزقنا الله مواهب الفقه ومعاني موجبات النصر والعمل بها، آمين!

وقال (**أَنَا لَهَا**) في حديث الشفاعة الكبرى يوم يَقصد الناسُ الأنبياءَ لحوائجهم جميعاً كما في كتابي (التوحيد) و(الإيمان) من الصحيحين.

وقد قصده الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين بعد وفاته ﷺ، بل حثّت عليه أمّنا وأم المؤمنين عائشة الصدّيقة رضي الله تعالى عنها، كما جاء في حديث فتح الكِوى فوق قبره ﷺ للاستسقاء عند الدارمي. وهو حديث جيد قوي كما أثبته الأستاذ نبيل بن هاشم الغَمْري في تحقيقه الضخم المسمى (فتح المنان شرح المسند الجامع للإمام الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن).

وكاستسقاء الصحابي بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه عند القبر الشريف، رواه ابن أبي شيبة والبيهقي في (الدلائل)، وصحح إسناده ابن كثير في (البداية) وجوّده في (جامع الأسانيد) له في مسند عمر، وصحح إسناده الحافظ في (الفتح). ومِن المحرومين مَن سبّ هذا الصحابي وجعل عمله «سبيلاً إلى الشرك» في كليمات علّقها على كتاب (فتح الباري) في طبعته التي تروَّج الآن في أسواق الكتب، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وكقول الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم: وأين فرار الناس إلا إلى الرسل؟ وكقول سواد بن قارب:

وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب!

رواهما البيهقي في (الدلائل) عن أنس رضي الله عنه وناهيك بقول الذهبي: (عليك يا أخي بدلائل النبوة للبيهقي، فإنه شفاء لما في الصدور وهدى ونور)، قاله في ترجمة القاضي عياض في (سير أعلام النبلاء).

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي: (روي عن أبي بكر بن أبي علي قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ – ابن حيان – بالمدينة فضاق بنا الوقت، فواصَلْنا ذلك اليوم. فلما كان وقت العشاء

حضرتُ القبرَ وقلتُ: يا رسول الله، الجوع! فقال لي الطبراني: اجلس، فإما أن يكون الرزق، أو الموت. فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علويٌّ، ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني الى النبي ﷺ؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم.) اهـ.

ومن فرّق بين حياة المستغاث به وموته الجسدية وجعل حياته شرطاً لجواز الاستغاثة: فقد أشرك، لأنه جعل استطاعة المستغاث به النسبية: قوةً مستقلّة ومصدر الإغاثة. كما قال الأستاذ سامر النص في كتاب (الوسيلة) ص ٥٣ حفظه الله:

(ما الفرق في النفع والضُر بين الحي والميت؟: إن المفرّق هو المخالف، بل هو المشرك شركا أصغر، وإذا اعتقده فشركه أكبر. وبناء على تلك النظرية الفاسدة – نظرية عجز الميت وقدرة الحي – لو طُلِب من الحي العاجز أمر لا يقدر عليه، كقولك للمصاب بالشلل: اسقني كأس ماء، هل يحكم بكفر الطالب؟ أفتوني مأجورين. وكما ترى مما بيناه آنفاً: الأنبياء أحياء ليسوا بأموات، وحرمة غيرهم من الأموات كحرمتهم أحياء، وهو يسمعون وينفعون ويدعون وتعرض عليهم الأعمال.) اهـ.

قَصْدُ السلف الصالح قبورَ الأولياء لقضاء الحوائج رضي الله عنهم

كان السلف الصالح يتوسّلون بالأولياء المنتقلين للحوائج، كصاحب الإمام أحمد الإمام العظيم إبراهيم الحربي القائل: قبر معروف الكرخي الترياق المجرَّب، رواه عنه ابن الجوزي في صفة الصفوة والذهبي في السير، رحمهم الله تعالى. وكان قبر إبراهيم الحربي نفسه يُزار ويُتوسّل به كما في صفة الصفوة.

وفي الحلية والصفوة و(سِيَر أعلام النبلاء) عن مجاهد: كان الناس يستسقون بقبر أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. وعن الدارقطني: كنا نتبرك بقبر أبي الفتح القواسي. وفي (طبقات الشافعية الكبرى) وغيره مثله في قبر الإمام البخاري. وروى الخطيب في (تاريخ بغداد) بإسناده إلى علي بن ميمون أنه سمع الإمام الشافعي يقول رضي الله عنه: إنه كان يأتي مرقد الإمام أبي حنيفة ببغداد فيتوسّل به لقضاء حوائجه. أورده الهيتمي في (الخيرات الحِسان في مناقب النُعمان).

أما قبر الإمام أحمد رضي الله عنه فلا شك أنه ليس في أتباع الأئمة الأربعة مَن يعظِّم بركةَ قبرِ إمامهم قدْرَ تعظيم الحنابلة بركةَ قبر الإمام أحمد بن حنبل، فعلى مذهب المولعين بالنَّبْز يكون قدماءُ

الحنابلة رؤوسَ «القبورية» في الإسلام. قال القاضي ابن أبي يعلى في كتابه (طبقات الحنابلة)، في ترجمة مفتي الحنابلة في بغداد القاضي الشريف أبي عليٍّ الهاشمي أحد رواة عقيدة الإمام أحمد:

(محمد بن أحمد بن أبي موسى أبو علي الهاشمي القاضي: عالي القدر، سامي الذكر، له القدم العالي والحظ الوافي عند الإمامين القادر بالله والقائم بأمر الله، سمع الحديث من جماعة، منهم: أبو محمد بن مظفر في آخرين، صنف الإرشاد في المذهب، وشاهدت أجزاء بخطه من شرحه لكتاب الخِرَقي، وكانت حلقته بجامع المنصور، يفتي ويشهد، وصَحِب لأبي الحسن التميمي وغيره من شيوخ المذهب...) إلى أن قال: (سمعت رزق الله – وهو شيخ ابن أبي يعلى: أبو محمد التميمي، له رواية لعقيدة الإمام أحمد أيضا – يقول: زُرت قبر الإمام أحمد بصحبة القاضي الشريف أبي علي، فرأيته يقبّل رِجل القبر! فقلت له: في هذا أثر؟ فقال لي: أحمدُ في نفسي شيءٌ عظيم! وما أظن أن الله تعالى يؤاخذني بهذا، أو كما قال.)

وفي كتاب (مناقب الإمام أحمد) لابن الجوزي: قال:حدثني أبو بكر ابن مكارم بن أبي يعلى الحربي وكان شيخا صالحا قال: كان قد جاء في بعض السنين مطر كثير جدا قبل دخول رمضان بأيام، فنمت ليلة في رمضان، فأريت في منامي كأني قد جئت على عادتي إلى قبر الإمام

أحمد بن حنبل أزوره، فرأيت قبره قد التصق بالأرض حتى بقي بينه وبين الأرض مقدار ساف أو سافين، فقلت: إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث. فسمعته من القبر وهو يقول: لا بل هذا من هيبة الحق عز وجل لأنه عز وجل قد زارني ، فسألته عن سر زيارته إياي في كل عام، فقال عز وجل: يا أحمد! لأنك نصرت كلامي فهو يُنشر ويُتلى في المحاريب. فأقبلت على لحده أُقَبِّلُه، ثم قلت: يا سيدي ما السر في إنه لا يُقَبَّلُ قبرٌ إلا قبرك؟ فقال لي: يا بني ليس هذا كرامة لي، ولكن هذا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن معي شعرات من شعره ﷺ. ألا ومن يحبّني، يزورني في شهر رمضان! قال ذلك مرتين.

وتمسح الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي بقبر الإمام أحمد للاستشفاء لدمامل أعيا الأطباء، وهو مذكور في (الحكايات المنثورة) للحافظ الضياء المقدسي سماعاً من شيخه المذكور، والكتاب محفوظ بمكتبة الأسد في دمشق بخط المؤلف.

فائدة عظيمة يستحب فعلها عند قبور الأنبياء والأولياء والعلماء ومن دونهم

قال المُلا علي القاري في شرحه على (الحصن الحصين) الذي ألّفه الإمام المقرئ ابن الجزري رحمهما الله أثناء محاصرة دمشق بجيوش التتار والصليبيين ما نصه:

(إذا زرت قبر نبي أو ولي أو عالم أو من دونهم مثلاً، وكنت في كرب عظيم، وأردت أن صاحب ذاك القبر تحضر روحه إليك وتشكو إليه ظلامتك: أي بلسان حالك أو قالك ليشفع فيك عند المليك فيكفيك ما أهمّك ومن دائك يشفيك، فاقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، وإن قدمت قلب القرآن – أعني ﴿يسٓ﴾ – كان أجود وأسرع، والمعوذتين ثلاثا ثلاثا، وفاتحة الكتاب والأسماء الحسنى بعد أول البقرة وآخرها، وتغمض عينيك وتستحضر جميع قلبك ثم تقول: لا إله إلا الله ثلاثاً، الله ثلاثاً بالمد، ثم تسكت سكتة لطيفة وتقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيدي فلان، أو يا شيخ، أو يا أستاذي، أو يا رسول الله ﷺ»: أي وتعرض على المُزار ما أصابك من أكدار، يجليها بمنة الستار بشفاعة صاحب المزار. وهذه الفائدة من أكبر الفوائد.) اهـ. كلام ملا علي القاري كما ذكره الشيخ يوسف النبهاني في (شواهد الحق) نقلاً عن تلميذ العارف عبد الغني

النابلسي: الشيخ مصطفى البكري الخلوتي رحمهم الله تعالى ونفع بهم، آمين.

وحكى مفتي لبنان الشيخ الشهيد حسن خالد عن شيخه مفتي الشام الشيخ أبي اليسر عابدين رحمهما الله تعالى، أنه كان يأمرهم بالدعاء عند قبر الإمام النووي لكونه مستجاباً هناك. فرحم الله المتوسلين والمتوسل بهم ونفعنا والمسلمين بهم إلا من أبى، آمين.

مخاطبة بل مشاهدة جناب الحق لأوليائه
أمر جائز شرعاً وعقلاً وواقع متواتر

قال المعترض: (و[ادعاؤه] أن بعض الأولياء يخاطب الله تعالى والله يجيبه.)

نعم، قال تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة، وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق.

ولما سئل الإمام القطب المجدد سيدي الحبيب عبد الله الحداد الحضرمي رحمه الله ورضي عنه عن معنى قول حجة الإسلام الغزالي: ليس كل أحد له قلب، أجاب: (يريد – رحمه الله ونفع به – القلب الحقيقي الذي يفقه ويعقل عن الله تعالى، وهو معنى شريف قائم بهذا القلب الصنوبري اللحمي الموجود لكل أحد، وعلى ما ذكر يتنزل قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ أي قلب يفقه عن الله تعالى، وفي آية أخرى أثبت لهم القلوب الصورية ونفى عنهم الفقه الذي هو المراد والمقصود، فقال تعالى ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الأعراف.)

وقال رسول الله ﷺ (**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ**). وقال ﷺ (**كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ**). وقال الصدّيق رضي الله عنه: (أُنَاجي ربي وقد علم حاجتي، إني أسْمَعْتُ من ناجيتُ.) وقال الله تعالى في الحديث القدسي على لسان رسوله ﷺ: (**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**)، وفي أوله تحذير خطير جداً لمن عادى ولياً من أولياء الله كما هو معلوم.

وروى الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب (مناقب الإمام أحمد) بإسناده إلى عبد الله ابن الإمام: (سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة عز وجل في المنام، فقلتُ يا رب! ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ فقال: كلامي يا أحمد؛ قال: قالت: يا رب! بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.)

وقال صاحب مدارج السالكين: (وأكمل السماع: سماع من يسمع بالله ما هو مسموع من الله، وهو كلامه. وهو سماع المحبين المحبوبين، كما في الحديث الذي في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي.**) والقلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة فإذا امتلأ من محبة الله وسمع كلام محبوبه أي بمصاحبته وحضوره في قلبه فله من سماعه هذا شأن ولغيره شأن آخر. والله أعلم. اهـ.

والهواتف الملائكية والربانية والمخاطبة بل مشاهدة الحق في الرؤيا المنامية أمرٌ جائز شرعاً وعقلاً وواقعٌ متواتر عند علماء وأولياء الأمة

حتى إن شبههم الشيخ أحمد ابن تيمية رحمه الله بأنبياء بني إسرائيل باعتبار عظمة كراماتهم وكثرتها. وقد فسّر الإمام النووي رحمه الله الإحسان في حديث جبريل عليه السلام بأنه (مقام المشاهدة).

فليُنظَر أمثلة كثيرة من الهواتف والمشاهدة والمخاطبة في حكايات الصالحين من السلف والخلف ككتاب (الهواتف) للحافظ ابن أبي الدنيا وكتاب (كرامات الأولياء) للخلّال وللّالِكائي و(روض الريَّاحين) لليافعي و(نفحات الأنس) للجامي و(طبقات الأولياء) لابن الملقّن و(طبقات الصوفية) للسلمي وللهروي الأنصاري ومصنّفات أخرى كثيرة.

وقد قال الإمام سفيان بن عيينة: عند ذكر الصالحين تتنزّل الرحمة، وقيل: الحكايات جند من جنود الله يثبّت بها قلوب أوليائه، ذكره القاضي عياض في (ترتيب المدارك) ونسبه المُناوي إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي في (طبقات الصوفية الكبرى). أعاد الله تعالى علينا من فيوضاتهم وأمدّنا بمددهم الطاهر ونفعنا ببركات أنفاسهم القدسيّة، آمين.

علم الغيب ثابت للأنبياء وورثتهم
ولم يقل مسلمٌ قط إن الولي يشرّع!

قال المعترض هداه الله: (و[ادعاؤه] أن بعض العارفين يعرف الغيب ويشرّع).

أما زعمه أن الحبيب علي الجفري حفظه الله ادعى أن بعض العارفين يشرّع، فكذب وافتراء. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ النور. وقد صرّح الحبيب علي أمام الملأ في محاضرته العظيمة الملائكية الربانية في جامع الإيمان في حي مزرعة دمشق شهر ربيع الأول ١٤٢٥: أن من زعم أن الولي يشرّع فقد كفر.

ولعل استناد المعترض - ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ - زعم أحدهم: (أما ما تقدم معنا من قول الجفري: أنه قد جاء عن العلماء العارفين أن من وقف بعرفات فظن أن الله لن يغفر له فقد أتى باباً من أبواب الكبائر: فهذا مما لا يستقيم أبداً... فلم أجد أحداً من الأئمة الأربعة أو من أتباعهم المعتبرين قد نص على مثل هذا الحكم) اه. وهذا دأبهم، يقولون دائماً (لم أره)، (لم أجده)، (عندي أنه كذا) كأنهم بلغوا

مرتبة الاجتهاد أو الاستقراء التام، وهم أدنى من الطالب المبتدئ إلا أنهم داخلون في أشراط الساعة: أن يفشو القلم ويظهر الجهل.

يقولون «هذا عندنا غير جائز» ومن أنتم حتى يكون لكم عند؟

كيف وقد ورد: **أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْباً مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ!** قال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء: رواه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ. وذكره الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: **أَلَا إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ جُرْماً مَنِ انْصَرَفَ مِنْ عَرَفَاتٍ وَيَرَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ.** وورد موقوفاً على سيدنا علي رضي الله عنه: **من يقف بهذين الموقفين: عرفة والمزدلفة، وسعى بين هذين الجبلين، ثم طاف بهذا البيت، وصلى خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم قال في نفسه وظن أن الله لم يغفر له، فهو من أعظم الناس وزراً.** وعن عبدالله بن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تذرفان فالتفتَ إلي، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له. راجع (الرقة والبكاء). وفي كتاب (قوت القلوب في معاملة المحبوب) للشيخ أبي طالب المكي: لقي رجلٌ ابنَ المبارك وقد أفاض من عرفة إلى مزدلفة فقال: مَن أعظم الناس جُرْماً يا أبا عبد الرحمن في هذا

الموقف؟ فقال: من قال إن الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء! ثم ذكر حديث (**أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْباً**). ذكره الحافظ مرتضى الزبيدي الحسيني في كتابه العظيم (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين). وذكر الحافظ العز ابن جماعة مثله عن الفضيل بن عياض في المناسك.

ثم يقول: (فثبت أن الجفري يريد علماء غير الفقهاء، وهم من سماهم بالعارفين). اهـ. اللهم نعوذ بك ونتبرأ إليك من غوغاء المتطاولين على أوليائك، المتناولين لحومهم! وهل الفقه في الدين والعلم الناجي إلا نور القلب، والعلم النافع، الذي وصل إليه معروف الكرخي وأمثاله من العارفين؟ كما ثبت قوله عن الإمام أحمد، رواه الماليني في أربعين الصوفية وتلميذه الخطيب في التاريخ وابن أبي يعلي في طبقات الحنابلة. وقال نحوه غيره من الأئمة الفقهاء كسفيان الثوري ومالك والشافعي. وعن سفيان قال: أعز الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف سنّي. رواه الهروي الأنصاري في طبقات الصوفية وابن الجوزي في صفة الصفوة وابن القيم في مدارج السالكين. وهذا سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام، وصف الصوفية في (قواعده الكبرى) بأنهم هم المعنيّون بقوله تعالى **حزب الله**، وفي فتاويه ص ١٣٨-١٤٢ أكّد تفضيل العارفين على الفقهاء! وهو تبعٌ لإثبات القشيري والغزّالي الاتفاقَ على علوِّ رتبة الأولياء فوق رتبة العلماء كما عُلِمَ.

أمّا علم الغيب: فثابت للأنبياء وورثتهم من الأولياء بالقرآن والسنة والأخبار المتواترة، علماً نسبياً عطائياً جزئياً، غير محيط ولا مطلق ولا ذاتي ولا مستقل لكن وسعت قطرةٌ من علمه ﷺ بحارَ علوم الأولين والآخرين وما بين السماوات والأرض والمشرق والمغرب كما ورد:

((عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ. قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ، فَأَرَاهُ، فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ.)) متفق عليه.

((وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتْ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، فَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عِظَامًا. ثُمَّ قَالَ: **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا.** فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ وَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ **سَلُونِي**. وفيه: ثُمَّ قَالَ: **عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.**)) متفق عليه.

((وعَنْ أَبِي زَيْدٍ، يَعْنِي عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ ﵁، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ، فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ، فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا: أَحْفَظُنَا.)) رواه مسلم. ومثله عن أبي سعيد وعمر وابنه وأبي ذر رضي الله عنهم.

((وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁، قَالَ: احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، دَعَا بِصَوْتِهِ، فَقَالَ لَنَا: **عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ**. ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: **أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي، فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ! فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ! قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي، رَبِّ! قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ.**
الحديث رواه الترمذي وصححه.

ورواه أيضاً بلفظ **حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.** وفي لفظ آخر: **فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.))**

وروى مالك في الموطأ خبر تفرُّس سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه بأنه سيتوفّى في مرضه وبولادة ابنة له، قال: (أُراها جارية) ولم تلد بعد، ثم ولدت أم كلثوم بعد وفاته فهي كرامتان له رضي الله عنه.

وقصة سيدنا عمر رضي الله عنه في خبر سارية بن زُنَيم الخُلْجي مشهورة.

وروي أن سيدنا عثمان رضي الله عنه قال لمن زاره، وكان قد نظر إلى امرأة في السوق: (يدخل أحدكم علي وفي عينيه أثر الزنى؟)، فقيل له: أوحياً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: (لا، ولكن برهانٌ وفراسة وصدق). قال القرطبي في التفسير بعد أن أورده: ومثله كثير عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

إماما الدعوة الوهابية يُثبتان علم الغيب للأولياء

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ما نصه:

(وسبب الفراسة: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرّق به بين الحق والباطل والحالي والعاطل والصادق والكاذب. وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة، لكن الفريسة فعيلة بمعنى مفعولة، وبناء الفراسة كبناء الولاية والإمارة والسياسة. وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا، فهو أحدّ فراسة. قال أبو سعيد الخراز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه مع الحق بلا سهو ولا غفلة بل حكم حق جرى على لسان عبده. وقال الواسطي: الفراسة شعاشع أنوار لمعت في القلوب وتمكن معرفة جملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم عن ضمير الخلق. وقال الداراني: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهي من مقامات الإيمان. وسئل بعضهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان. وقال عمرو بن نجيد: كان شاه الكرماني حادّ الفراسة لا يخطىء ويقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه

بدوام بالمراقبه وظاهره باتباع السنة وتعوّد أكل الحلال: لم تخطىء فراسته. وقال أبو حفص النيسابوري: ليس لأحد أن يدعي الفراسة، ولكن يتقي الفراسة من الغير لأن النبي ﷺ قال: **إِتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله**. ولم يقل: تفرّسوا. وكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو في محل اَتّقاء الفراسة؟ وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون من حيث لا تحتسبون. وكان الجنيد يوماً يتكلم على الناس، فوقف عليه شاب نصراني متنكرا، فقال: أيها الشيخ ما معنى قول النبي ﷺ: **إِتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله**؟ فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه إليه وقال: أسلم، فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام.) اهـ. من (مدارج السالكين).

ويقول أستاذه الشيخ أحمد بن تيمية في مجموع الفتاوى له: (فإن رؤيا الأنبياء وحيٌ، ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما ثبت ذلك عن النبى ﷺ فى الصحاح. وقال عبادة بن الصامت ويروى مرفوعاً: رؤيا المؤمن كلامٌ يكلم به الرب عبده فى المنام وكذلك فى اليقظة، فقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى فعمر **قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي فَعُمَرَ**، وفى رواية فى الصحيح:

مُكَلَّمُونَ. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى ﴾، وقال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾، بل قد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾. فهذا الوحى يكون لغير الأنبياء ويكون يقظة ومناماً. وقد يكون بصوت هاتف، يكون الصوت فى نفس الانسان ليس خارجا عن نفسه، يقظة ومناما، كما قد يكون النور الذى يراه أيضا فى نفسه. فهذه الدرجة من الوحى التى تكون فى نفسه من غير أن يسمع صوت ملَك فى أدنى المراتب وآخرها، وهى أولها باعتبار السالك.) اهـ.

ويراجَع ما لا يحصى من الآثار والأبواب المختصة بكشف علم الغيب للأنبياء والأولياء والعارفين في الشفا وكتب (الخصائص النبوية) و(دلائل النبوة) للأصبهاني والتيمي والبيهقي وللشيخ سعيد باشَنْفر – صدر بمجلد ضخم حافل جزاه الله خيراً – و(حجة الله على العالمين بمعجزات سيد المرسلين ﷺ) وسِيَر الصحابة و(حلية الأولياء) و(طبقاتهم) و(صفة الصفوة) و(طبقات الصوفية) و(جامع كرامات الأولياء) و...

ابن القيم يُثبت «العلم اللدنّي الحقيقي» لعلي بن أبي طالب ﷺ

يقول ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين:

(فصل: الدرجة الثالثة: علمٌ لدني إسناده وجوده وإدراكه عيانه ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب. يشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله وتعريف منه لعبده، كما حصل للخَضِر، عليه السلام، بغير واسطة موسى. قال الله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف. وفرق بين الرحمة والعلم، وجَعْلِهما من عنده و من لدنه، إذ لم ينلهما على يد بشر، وكان **من لدنه** أخص وأقرب من **عنده**. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الإسراء. فالسلطان النصير الذي من لدنه سبحانه: أخص وأقرب مما عنده. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾، وهو الذي أيده به. والذي من عنده: نصره بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأنفال. و العلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب

والسنة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: **لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ! إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللهُ عَبْداً فِي كِتَابِهِ.** فهذا هو العلم اللدني الحقيقي.)

قول شيخ المشايخ علوي بن عباس رحمهما الله

قال السيد علوي بن عباس في (مجموع الفتاوى والرسائل) له، في كلمة عنوانها (بيان مذهب الصوفية والأصوليين في الإلهام) قد لخّصها من رسالة شيخه علي المالكي رحمهم الله المسماة (مناهل الرياسة والكياسة في موارد عذب الفراسة): (قال العارفون إن الإلهام والفراسة حجة ممن حفظه الله في سائر أعماله الظاهرة والباطنة وقال الأصوليون الإلهام أو الفراسة ليس بحجة، وهذا محمول على الإلهام الصادر من غير من ذكر، وخرج عن قاعدة وأس الفراسة الصحيحة وصار من ضمن الفراسة الغير الصحيحة، وهي ما تعورف منا بأدلة وتجارب.) ثم ذكر أدلة العارفين. ثم قال:

(فالحاصل أن الأئمة العارفين في قولهم بالاحتجاج به نظروا إلى قلوب القليل، المحقق حفظها من دواعي الوسواس، ولا تخلو عن الخزازة في مظان الكراهة حتى لا تحكم إلا بالحق فجوزوا استفتاءها – وما أعز هذه القلوب! – بل جعل ذلك لوابصة ولم كان على قدمه. واستدل العصام في حاشيته على العقائد النسفية على حجية الإلهام بالقياس الجلي، فقال ما توضيحه: لو لم يكن الإلهام حجة في غير الأنبياء بزعم أنه خطرات نفس لا ثقة بها من غير المعصوم، لكانت الرؤيا كذلك، واللازم باطل لما جاء في الحديث: (**أن رؤيا المؤمن**

حق وأنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) على أنه قد جـاء في الإلهام: (**استفت قلبك وإن أفتوك**).

ثم ذكر تعليـل الأصـوليين لقـولهم وخـتم بقولـه: (فليسـت مخالفـة الأصوليين والفقهاء للسادة الصوفية لإنكار الإلهام من أصله. كيـف والحديث الصحيح مصرّح به وهو: (**إنه قد كان فـيما مضى قـبلكم من الأمم محدَّثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنـه عمـر بـن الخطاب.**) اهـ.

الإنسان خليفة الله في الأرض

جاء في ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه:

شهدتُ بأن الله لا رب غيره وأشهَدُ أنَّ البَعثَ حَقٌّ وأُخلِصُ
وأنَّ عُرى الإيمان قولٌ مبيَّنٌ وفعلٌ زكيٌّ قد يزيدُ ويَنقُصُ
وأنَّ أبَا بكرٍ خليفةُ ربِّه وكان أبو حفصٍ على الخير يحرُصُ

رواه البيهقي في (مناقب الشافعي) بإسناده إلى المزني عن الإمام.

وقال شيخ الإسلام ابن السبكي في الطبقات الكبرى: (كان عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن، و**خليفة الله في أرضه** وفي ساكني أرضه.) اهـ.

ودليل قولهما بخلافة الانسان لله في الأرض ثابت في الحديث، فقد قال رسول الله ﷺ لحذيفة اليماني رضي الله عنه: **ثُمَّ تَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ فَإِنْ كَانَ لله يَوْمَئِذٍ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ** جَلَدَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَالْزَمْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ**... الحديث. رواه وأبو داود وأحمد بإسناد صحيح، وعند الأخير: **فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةَ الله فِي الْأَرْضِ** فَالْزَمْهُ وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرَبْ

فِي الْأَرْضِ وَلَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ.**

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه عن ثوبان ﵁: قال رسول الله ﷺ: **إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيَّ.** قال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة: (هذا إسنادَ صحيح، رجاله ثقات.)

وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه**). ذكره القرطبي في التفسير.

وفي (الأُم): أخبرنا الشافعي، قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، قال: وُلِّينا أبو بكرٍ، **خيرُ خليفة الله**، أرحمُه وأحناه عليه. وهو في (فضائل الصحابة) للإمام أحمد.

وفي خطبة الصدّيق ﵁ لمّا ارتدّت العرب: (والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا وعده ويفي لنا عهده، فيقتل من قتل منا شهيدا في الجنة، ويبقى من بقي منا **خليفة الله في أرضه**

ووارث عبادة الحق، فإن الله تعالى قال لنا ليس لقوله خلف: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ النور. والله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ ثم أقبل معهم الشجر، والمدر، والجن، والإنس: لجاهدتُهم حتى تلحق روحي بالله! إن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة، فجمعهما. فكبر عمر وقال: والله قد علمت حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم: أنه الحق.) رواه الخطيب من رواية مالك.

وفي حلية الأولياء جواب سعيد بن جبير للحجاج لما سأله: (فما تقول في أبي بكر؟ قال: الصدّيق، **خليفة الله**، مضى حميدا وعاش سعيدا...)

وروى الخلال عن حذيفة في قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه: (أرأيتم يوم الدار أسرا كانت فتنة على المسلمين عامة، سبحان الله، سبحان الله، **خليفة الله**، وقتلوه مظلوما، فإنها كانت أول الفتن وآخرها فتنة المسيح.) وقال أبو مسلم الخولاني: (قتلوا ناقة الله وقتلتم خليفة الله! وأشهد على ربي: لخليفتُه أكرم عليه من ناقته.) الخطيب في المتشابه.

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد عن حبيب السلمي قال: قرأت في الحكمة: انصت للسائل حتى ينقضي كلامه ثم اردد عليه برحمة، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للمظلوم ناصرا، **لعلك تكون خليفة الله في أرضه**.

❋

❋ ❋

هذا ما ألهمه المولى تبارك وتعالى، وتيسّر مراجعته والزيادة عليه في توضيح أو رد ما نسب إلى سيدي الشريف الحبيب علي جُفرى حفظه الله، وتبيين حقائق ما أقامه الله تعالى عليه بفضله وكرمه، وإن كان قد ثبت فضله وعلو شأنه في دمشق وسائر بلاد المسلمين وغيرها، فلا يضر بعد ذلك مخالفة من شذ وتفرّد وجاوز الحد.

والله نسأل أن يوحّد كلمة المسلمين، ويرزقنا حسن النظر والتدبير والحكمة في كل أمور الدنيا والدين. اللهم أصلح أمّة سيدنا محمد ﷺ وارحمنا رحمة عامّة وانصرنا على القوم المفسدين. اللهم ونوّر أبصار علمائنا وطلبة العلم بسرّ ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ ونوّر بصائرهم بسرّ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾. اللهم وأوصِلْنا بمن يُوصِلُنا إليك، واجمعنا بمن يجمعُنا عليك، وارزقْنا الصلاح بكل حال. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.